

العدد الثاني عشر
السنة العشرون

رجب ١٣٩٨هـ
٦ حزيران ١٩٧٨م


منتدى إقرأ الثقافي
للكتب (كوردى - عربي - فارسي)
www.iqra.ahlamontada.com


وهو القاهر فوق عباده
وهو الحكيم الخبير
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة حرم ابي ابراهيم والمدينة
حرمي وانا احرم ما بين لابتيها صدق رسول الله
كتبها الخطاط وليد الاعظمي ببغداد في ذي القعدة سنة ١٣٩٧ هـ
اجزت كاتب هذا الرقيم الخطاط وليد الاعظمي
واسأله الدعاء لي ولوالدي ولاساتذتي بالرحمة
والمغفرة وانا الفقير الخطاط محمد ابراهيم البرنو كاتب المسجد الحرام
محمد ادريس
تم توقيع هذه الاجازة
المباركة ومناولتها في مكة المكرمة في شهر
ذي الحجة الحرام سنة ١٣٩٧ هـ
اجزت اثر هذه النميقة الخطاط وليد الاعظمي واسئله
الدعاء لي ولوالدي ولاشياخي بالقبول والرضوان وانا الفقير
الشيخ عبد الرحيم امين البخاري كاتب كسوة الكعبة المشرفة
عبد الرحيم امين

محتويات العدد

العدد الثاني عشر ـ السنة العشرون
مجلة التربية الاسلامية رجب ١٣٩٨هـ
الموافق ٦ حزيران ١٩٧٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل العبادة الإخلاص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

هناك نوع من النفوس تشعر برقيب عليها في كل امر تقدم عليه · اذا تكلمت كان الحديث بقدر وكأن الكلمات معدودات ، واذا عملت عملا حرصت على ان يكون خاليا من الشوائب التي تفسده · هذه النفس عالية في مظهرها ومخبرها ، لا تخشى احدا الا الله فهي تعمل له في السر والعلن ·

هذه النفس شجاعة لا تنطق الا بالحق والحكمة ولا تعرف الكذب والخداع والمداورة ، رائدها الاخلاص وهو سر الحياة ، ودأبها الصدق مع الله على كل حال · يمشي صاحبها على الارض وكأنه جبل يسير · لان الله معه وشاهد عليه وناظر اليه·

هذه النفس احوج ما تحتاجه الامة الاسلامية في هذا الزمن ·

فقد يكون الرجل ذكيا وفي مركز هام في الحياة ولا يكون مخلصا وانما طالب شهرة ومنصب ·

وقد يكون صاحب تأثير قوي وكلمة مسموعة ولكنه لم ينقذ نفسه من الهلاك وانما كان عمله رياء ولاجل أن يقال ، أو كان طمعاً في الوصول الى عرض زائل يعض عليه بالنواجذ ·

وقد يكون قد نال المديح من هذا وذاك ، وأكب عليه الناس من كل حدب او صوب ولكنه رجع صفر اليدين وكان ممن قال الله فيهم (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) ·

فالمحافظة على الاخلاص وتوجه العبد الى الله تعالى أن يرزقه هذا السر الغالي ، هو اهم نقطة في حياة الفرد ، ويكون ذلك بسد الثغرات التي يتسرب منها هذا الداء · ولعل اهم الثغرات هو اعجاب المرء بعمله واعجابه بشخصيته ·

فان قطرة واحدة من هذه الكدورات تكفي لتلويث بحر من الخيرات والحسنات والفضائل والمكرمات · ان الاعجاب بالنفس يتسرب الى نفس الانسان كما يتسرب الماء الى الجذور ، فلا تشعر النفس به الا بعد ان يتمكن منها ويتحكم فيها فلا تستطيع التخلص منه الا بفضل الله ورحمته ·

وهنا فرق بين الاعتداد بالنفس والاعجاب بها ·

فالاعتداد بالنفس أمر محمود ومرغوب فيه ، فقد قال الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة) · وجاء في الحديث الشريف (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ·

أما الاعجاب بالنفس فانه يخلو من الشكر لله تعالى ، ومن الموعظة والاعتبار ، ويظن الانسان انه نال هذه النعم بكسب يده وبما عنده من مهارة وذكاء ، وليس لله فضل في ذلك • ولهذا ذمّ القرآن الكريم قارون ذلك المعجب بنفسه المغرور في زينته حينما نادى في قومه (انما اوتيته على علم عندي) •

الله تعالى يريد من عباده ان يعبدوه حقا ولا يشركوا به شيئا • ومن هذه العبادة تطهير النفس من ادران النفاق والكبر والانانيـة والشهرة والشهوة وذلك مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) •

وأبرز ما تزلّ فيه الاقدام هو ما ورد في القرآن العظيم من خيانة الاعين وما تخفي الصدور •

والنفس المشرقة بنور الايمان ترى ان الله تعالى يعلم خائنـة الاعين وما تخفي الصدور (وهو معكم اينما كنتم) •

هذه النفس المطمئنة تعلم حقا ان لكل عضو زنى وزنا العين النظر • لذا نراها تعيش وهي تغض الطرف عن المحرمات لئلا تقع في المحارم • كما ان هــذه النفس الراضية بالله تعالى ربّا تعيش بقلب موصول بالله تعالى بعيد عن الاوهام والخيالات التي تنغص عيشة الرجل المؤمن الصافي ، وانـه لا عبرة بكثرة الاتبـاع والانتـاج ، ولا عبرة ايضا بسعة الاطلاع ووفرة الوسائل والاسباب ، بل الشأن كله بصلة الرجل بربه واخلاصه له في قوله وعمله ، وظاهره وباطنه ، اخلاصه في الرضا والغضب ، واليأس والرجاء •

فاذا صحت نيته وحسن قصده وعمُر ما بينه وبين الله فقد فاز وسعد • والا افتضح امره يـوم يعرض الناس على رب العالمين سبحانـه وتعالى حينذاك يواجـه بالحقيقة من عند الله تعالى • فعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان اول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمته فعرفها • قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت • قال : كذبت ولكن قاتلت لان يقال هو جريء فقد قيل • ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى في النار •

وبعد : فالله تعالى اشاد في القرآن العظيم بحال الاصفياء من عباده في قولـه : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) •

ذلك لانّ الاخلاص سر عجيب من اسرار الحياة ، به تنعم الامة ويعلو شانها في الدنيا • ويرتفع قدرها عند الله تعالى •

فما احوج المسلمين اليوم الى حملة سر الاخلاص في كل امر من امور حياتهم •

اللهم ارزقنا الاخلاص وحببنا اليه ، وجنّبنا الشرك والرياء وباعد بيننا وبينه انك على ما تشاء قدير يا رب العالمين •

هيئة التحرير



أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ؟ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ؟ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » *

سورة الفيل/مكية/وآياتها ٥

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ » .. وهو سؤال للتعجيب من الحادث والتنبيه الى دلالته العظيمة . فالحادث كان معروفا للعرب ومشهوراً عندهم ، حتى لقد جعلوه مبدأ تاريخ . يقولون حدث كذا عام الفيل ، وحدث كذا قبل عام الفيل ، بعامين، وحدث كذا بعد عام الفيل بعشر سنوات .. والمشهور ان مولد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان في عام الفيل ذاته . ولعل ذلك من بدائع الموافقات الالهية المقدرة !

وإذن فلم تكن السورة للاخبار بقصة يجهلونها ، إنما كانت تذكيراً بأمر يعرفونه ، المقصود به ما وراء هذا التذكير ..

ثم اكمل القصة بعد هذا المطلع في صورة الاستفهام التقريري كذلك :

« ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟ » .. اي ألم يضل مكرهم فلا يبلغ هدفه وغايته ، شأن من يضل الطريق فلا يصل الى ما يبتغيه .. ولعله كان بهذا يذكر قريشاً بنعمته عليهم في حماية هذا البيت وصيانته ، في الوقت الذي عجزوا هم عن الوقوف في وجه اصحاب الفيل الاقوياء . لعلهم بهذه الذكرى يستحون من جحود الله الذي تقدمت يده عليهم في ضعفهم وعجزهم ، كما يطامنون من اغترارهم بقوتهم اليوم في مواجهة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والقوة المؤمنة معه . فقد حطم الله الاقوياء حينما شاءوا الاعتداء على بيته وحرمته ؟ فلعله يحطم الاقوياء الذي يقفون لرسوله ودعوته .

فأما كيف جعل كيدهم في تضليل فقد بينه في صفة وصفية رائعة : « وأرسل عليهم طيراً ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » .. والأبابيل : الجماعات . وسجيل كلمة فارسية مركبة من كلمتين تفيدان : حجر وطين . او حجارة ملوثة بالطين . والعصف : الجاف من ورق الشجر . ووصفه بانه مأكول : أي فتيت طحين ! حين تأكله الحشرات وتمزقه ، او حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه ! وهي صورة حسية للتمزيق البدني بفعل هذه الاحجار التي رمتهم بها جماعات الطير . ولا ضرورة لتأويلها بانها تصوير لحال هلاكهم بمرض الجدري أو الحصبة .

فاما دلالة هذا الحادث والعبر المستفادة من التذكير به فكثيرة ..

واول ما توحي به ان الله ـ سبحانه ـ لم يرد ان يكل حماية بيته الى المشركين ، فلو انهم كانوا يعتزون بهذا البيت ، ويحمونه ويحتمون به . فلما اراد ان يصونه ويحرسه ويعلن حمايته له وغيرته عليه ترك المشركين يهزمون امام القوة المعتدية . وتدخلت القدرة سافرة لتدفع عن بيت الله الحرام ، حتى لا تكون للمشركين يد على بيته ولا سابقة في حمايته ، بحميتهم الجاهلية . ولعل هذه الملابسة ترجح ترجيحا قويا أن الأمر جرى في اهلاك المعتدين مجرى السنة الخارقة ـ لا السنة المألوفة المعهودة ـ فهذا أنسب وأقرب ..

ولقد كان من مقتضى هذا التدخل السافر من القدرة الالهية لحماية البيت الحرام ان تبادر قريش ويبادر العرب الى الدخول في دين الله حينما جاءهم به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والا يكون اعتزازهم بالبيت وسدانته وما صاغوا حوله من وثنية هو المانع لهم من الاسلام !

وهذا التذكير بالحادث على هذا النحو هو طرف من الحملة عليهم والتعجيب من موقفهم العنيد !

كذلك توحي دلالة هذا الحادث بان الله لم يقدر لاهل الكتاب ـ ابرهة وجنوده ـ ان يحطموا البيت الحرام او يسيطروا على الارض المقدسة . حتى والشرك يدنسه ، والمشركون هم سدنته . ليبقى هذا البيت عتيقا من سلطان المتسلطين ، مصونا من كيد الكائدين . وليحفظ لهذه الارض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرة طليقة ،

لا يهيمن عليها سلطان ، ولا يطغى فيها طاغية ، ولا يهيمن على هذا الدين الذي جاء ليهيمن على الاديان وعلى العباد ، ويقود البشرية ولا يقاد . وكان هذا من تدبير الله لبيته ولدينه قبل ان يعلم احد ان نبي هذا الدين قد ولد في هذا العام !

ونحن نستبشر بايحاء هذه الدلالة ونطمئن ، ازاء ما فعله من اطماع فاجرة ماكرة ترف حول الاماكن المقدسة من الصليبية العالمية والصهيونية العالمية ، ولا تني او تهدأ في التمهيد الخفي اللئيم لهذه الاطماع الفاجرة الماكرة . فالله الذي حمى بيته من أهل الكتاب وسدنته مشركون ، سيحفظه ان شاء الله ، ويحفظ مدينة رسوله من كيد الكائدين ومكر الماكرين !

والايحاء الثالث هو ان العرب لم يكن لهم دور في الارض . بل لم يكن لهم كيان . قبل الاسلام . كانوا في اليمن تحت حكم الفرس او الحبشة . وكانت دولتهم حين تقوم هناك احيانا تقوم تحت حماية الفرس . وفي الشمال كانت الشام تحت حكم الروم ، اما مباشرة او بقيام حكومة عربية تحت حماية الرومان .. ولم ينج الا قلب الجزيرة من تحكم الاجانب فيه . ولكنه ظل في حالة بداوة او في حالة تفكك لا تجعل منه قوة حقيقية في ميدان القوى العالمية . وكان يمكن ان تقوم الحروب بين القبائل اربعين سنة . ولكن لم تكن هذه القبائل متفرقة ولا مجتمعة ذات وزن عند الدول القوية المجاورة . وما حدث في عام الفيل كان مقياسا لحقيقة هذه القوة حين تتعرض لغزو اجنبي .

وتحت راية الاسلام ولاول مرة في تاريخ العرب اصبح لهم دور عالمي يؤدونه . واصبحت لهم قوة دولية يحسب لها حساب . قوة جارفة تكتسح الممالك وتحطم العروش ، وتتولى قيادة البشرية ، بعد ان تزيح القيادات الجاهلية المزيفة الضالة .. ولكن هيأ للعرب هذا لاول مرة في تاريخهم هو أنهم نسوا أنهم عرب ! نسوا نعرة الجنس ، وعصبية العنصر ، وذكروا انهم مسلمون . ومسلمون فقط . ورفعوا راية الاسلام ، وراية الاسلام وحدها ، وحملوا عقيدة ضخمة قوية يهدونها الى البشرية رحمة وبرا بالبشرية ؟ ولم يحملوا قومية ولا عنصرية ولا عصبية .

حملوا فكرة سماوية يعلمون الناس بها لا مذهباً ارضياً يخضعون الناس لسلطانه. وخرجوا من ارضهم جهاداً في سبيل الله وحده ، ولم يخرجوا ليؤسسوا امبراطورية

عربية ينعمون ويرتعون في ظلها ، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها ، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس الىحكم العرب والىحكمهم انفسهم ! إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعا الى عبادة الله وحده ، كما قال ربعي بن عامر رسول المسلمين في مجلس يزدجرد : « الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام » .

عندئذ فقط كان للعرب وجود ، وكانت لهم قوة . وكانت لهم قيادة .. ولكنها كانت كلها لله وفي سبيل الله . وقد ظلت لهم قوتهم . وظلت لهم قيادتهم ما استقاموا على الطريقة . حتى اذا انحرفوا عنها وذكروا عنصريتهم وعصبيتهم ، وتركوا راية الله ليرفعوا راية العصبية نبذتهم الارض وداستهم الامم ، لأن الله قد تركهم حيثما تركوه، ونسيهم مثلما نسوه !

وما العرب بغير الاسلام ؟ ما الفكرة التي قدموها للبشرية او يملكون تقديمها اذا هم تخلوا عن هذه الفكرة ؟ وما قيمة امة لا تقدم للبشرية فكرة ؟ ان كل امة قادت البشرية في فترة من فترات التاريخ كانت تمثل فكرة . والامم التي لم تكن تمثل فكرة كالتتار الذين اجتاحوا الشرق ، والبرابرة الذين اجتاحوا الدولة الرومانية في الغرب لم يستطيعوا الحياة طويلاً ، انما ذابوا في الامم التي فتحوها . والفكرة الوحيدة التي تقدم بها العرب للبشرية كانت هي العقيدة الاسـلامية ، وهي التي رفعتهم الى مكان القيادة . فاذا تخلوا عنها لم تعد لهم في الارض وظيفة ، ولم يعد لهم في التاريخ دور .. وهذا ما يجب ان يذكره العرب جيدا اذا هم ارادوا الحياة . وارادوا القوة ، وارادوا القيادة .. والله الهادي من الضلال ..

اختر مكانك

بسم الله الرحمن الرحيم

« من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً ، كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » .

صدق الله العظيم



لا يحتكر إلا خاطئ

عن ابي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشترى رجلٌ ممَّن كان قبلَكُمْ عقاراً من رجلٍ ، فوجد الذي اشترى العقار في عقارِه جَرَّةً فيها ذهبٌ ، فقال له الذي اشترى العقار : خُذْ ذهبَكَ عني إنما اشتريتُ العقارَ ولم ابتَعْ منكَ الذهبَ فقال بائعُ الارض : إنما بعتُكَ الأرضَ وما فيها ، فتحاكما الى رجلٍ ، فقال الذي تحاكما اليه : الكما ولدٌ ؟ فقال احدهما لي غلامٌ ، وقال الآخر : لي جاريةٌ . فقال أنكِحوا الغلام الجاريةَ ، وانفقُوا عليهما منه وتصدقوا »(1) .

متفق عليه

عن حكيم بن حزام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا ، فإنْ صدَقا وبيَّنا بورِكَ لهما في بيعهما ، وإن كَتَمَا وكَذَبا مُحِقَتْ بركة بيعهما »(2) . متفق عليه

عن قيس بن ابي غَرْزةَ قال : كنَّا بالمدينة نبيع الاوساق ونبتاعُها وكنا نُسمِّي أنفسَنَا السماسرةَ ويُسمِّينا الناسُ ، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمانا باسمٍ هو خيرٌ من الذي سمَّيْنا انفسَنا وسمَّانا الناسُ فقال : يا معشر التجّار إنه يشهدُ بيْعكم الحلِفُ والكَذِبُ فشوبوهُ بالصدقة »(3) . رواه النسائي

---

(1) نموذج من الفقه وحسن التصرف واخراج حق الله في الكنز المدفون .

(2) اي ان مجال الاخذ والرد مفتوح عند وجود البائع والمشتري فان تفرقا على شيء كان ابراما للصفقة .

(3) شوبوه : اخلطوه لعل الحسنات يذهبن السيئات .

عن معمر بن عبدالله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحتكر الا خاطيء »[٤] • اخرجه مسلم

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرِّبا وان كَثُر فان عاقبته تصيرُ الى قُلٍّ »[٥] • رواه الحاكم •

عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من اسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم[٦] •

رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ مسلم

عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن) • متفق عليه واللفظ لمسلم

الاختيار من كتاب (مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف)

(٤) الاحتكار : هو ان يستولي احد التجار بطريقة ما ؛ على امتياز او سلعة لايملكها غيره ثم يتحكم في السعر والتصريف لانه لا منافس له •

(٥) والا اعتبر هذا التسليف ربا •

(٦) المعنى ان السلم والسلف جائز وهو ان آخذ منك سلعة محددة المعالم لأرد مثلها تماما في وقت معين دون امتياز ولا فائدة •

الحل الصحيح

المشكلة الجنسية (١)

للدكتور : وجيه زين العابدين

ان من تخطيط الاسلام تكوين المجتمع الصالح ، ولا يكون ذلك في نظر الاسلام الا ببناء النواة وهي الاسرة ، لذلك اهتم بها كثيراً ، ولما كانت القضية الجنسية اهم عنصر في ربط الاسرة اضافة الى انشائها وايجادها لذلك اولى الاسلام عناية فائقة في تنظيم العلاقات الجنسية .. ودين الله الذي خطط لحل اي مشكلة تخطيطاً وقائياً قبل العلاج اهتم بل بالغ بالاهتمام بتأمين الوقاية لحل المشكلة الجنسية اكثر من العلاج .

الاسرة هي نواة المجتمع وفي جدرانها يتدرب الفرد على محبة ابويه واخوته واقاربه وجيرانه . الاسرة النظيفة نواة المجتمع النظيف ولا يهدم هذه النواة مثل الفوضى الجنسية ولذلك سدّ الاسلام جميع الثغرات التي قد تدخل منها هذه الفوضى لان الاسلام يرى انّه اذا تفككت عرى الاسرة كان ذلك انذاراً لهلاك المجتمع .

ولما كانت الغريزة الجنسية قوية جداً ولا بد من تطمينها والاعتراف بها لذلك بادر الاسلام بتنظيمها ووضعها في مكانها اللائق ..

وبصورة عامة يتبع الاسلام طريقته الثنائية في التنظيم ومنع الفوضى ومنع الجريمة .. فالركن الاول هو تربية النشىء على الخوف من الله واتباع اوامره واجتناب نواهيه وهذا هو الوازع الداخلي اما الوازع الخارجي في الوقاية من الفوضى ومن الجريمة فهي العقوبة .

---

(١) اصطلح الناس على هذه الكلمة وسموها الجنسية ، وعلى رأى الاستاذ مصطفى جواد تكون كلمة النوع بدل الجنس ، انظر كتابه (قل ولا تقل صحيفة (٩٠) .

وبالرغم من التهذيب وبالرغم من العقوبة القاسية فقد يتعرض الشاب للفاحشة ولذلك عني الاسلام بايجاد المجتمع النظيف فنظم علاقة الجنسين بما يليق بمكانة كل من الذكر والانثى ووظيفته الفطرية .. واحتراماً للمرأة وتقديراً لها وانقاذاً لها من الفوضى ومن عبث الرجل واستعباده لها ، نظّم الاسلام للمرأة حجابها وزينتها ولباسها ، ومدى عملها لتكون دُرّةً مصونة تهوي اليها افئدة الرجال فتكون الزوجة (لا الخدن) لتؤدي واجبها العظيم ، واجبها الفطري الذي خلقها الله عز وجل من اجله ، الا وهو انشاء وتربية الجيل .. فاذا صلحت المرأة وسارت على فطرتها الانثوية صلح المجتمع ، اما اذا انحرفت ، فقد هلكت وهلك معها المجتمع .. قال عليه الصلاة والسلام (ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء)[٢] .

والآن اكتب عن حل الاسلام للمشكلة الجنسية وقاية وعلاجاً وقد اخترت في التبويب العمر لنبدأ بتربية اطفالنا بصورة صحيحة ..

الرضيع :

قد يرى الابوان طفلهما الرضيع الذكر يعبث بعضوه ، وكذلك الانثى والتي قد تستلقي على ظهرها وتمدُّ ساقيها وتلصقهما معاً وتقوم بحركات تشنجية مدة دقيقة او اكثر ثم ترتخي وربما نامت .. هذا الفعل من الطفل يسميه الأطباء العادة السرية وعلى الابوين ومن يرعى الطفل اغفال ذلك وعدم زجر الطفل وعدم الالتفات اليه مع السعي لتوجيه الطفل الى لعبة او اي لهو لصرفه عن ذلك بقدر المستطاع والغالب ان الطفل يترك هذه العادة في الثالثة من عمره ، فان استمر فالافضل مراجعة الطبيب .

الطفل المميز :

ان من المشاكل الجنسية للطفل المميز بعد الثانية هي قضية نومه ومتى يستأذن على ابويه فمما لاشك فيه ان الرضيع ينام مع والديه ، اما المميز وهو الذي قال عنه القرطبي (الذي عقل معاني الكشفه)[٣] فهذا يستأذن في الاوقات الثلاثة التي وردت

---

(٢) اخرجه مسلم نقلا من رياض الصالحين صحيفة ٤٧ .

(٣) تفسير القرطبي للآية الكريمة من سورة النور (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم ... الآية) ..

في هذه الآية الكريمة من سورة النور (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) •• فهذا الطفل المميز يعلمه ابواه او من يرعاه بانه لا يجوز له ان ينام في غرفة ابويه الا ان يكون الحجاب الكامل واذا دخل على ابويه ليلاً من بعد صلاة العشاء وقبل استيقاظهما لصلاة الفجر فليستأذن كما انه لا يدخل عليهما وقت القيلولة ظهراً الا بعد الاستئذان •

اما عمر الطفل المميز فلم يذكره القرآن الكريم وقد ترك ذلك للابوين بالنسبة الى ذكاء الطفل وعلمه ومحيطه •• وربما كان الطفل في الثانية مميزاً وربما تأخر عنده التمييز حتى الرابعة او الخامسة •

فاذا بلغ الطفل الحلم استأذن في كل وقت قال تعالى في سورة النور (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ••) فحكمه حكم البالغ الذي امره الله بالاستئذان في الآية الكريمة من سورة النور ايضا وهي قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها) اي لا تدخلوا الا في بيت تجدون فيه أنساً لكم على ان تستأذنوا •

ومن مشاكل الطفولة اسئلته الجنسية والحل الاسلامي هو اجابته بالصدق مع استعمال الكناية والالفاظ المؤدبة وربط جواب الاسئلة بالآيات الكريمة او بالاحاديث فمثلاً عند سؤاله كيف ولدت نجيب بقراءة آية من القرآن وهي قوله عز وجل في سورة النحل (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً •• الآية) •• ومما لاشك فيه ان نظافة البيت والمدرسة له اثره في عدم انحراف الطفل ••

المراهق والشاب :

المراهقة هي اصعب مرحلة في حياة الانسان من الناحية الاجتماعية والوظيفية لا سيما القضية الجنسية ، اذ يكون البلوغ فجأة بالاحتلام عند الفتى والحيض عند

الفتاة . والطفل المسلم يتعلم بصورة تدريجية ادب المسألة الجنسية اذ يؤمر بالصلاة وهو ابن سبع سنين والصلاة تحتاج الى وضوء وطهارة ، كما ان اجابة الابوين على اسئلة الطفل بصدق تهيء الطفل لقبول البلوغ (المراهقة) بشكل طبيعي فلا يتعرض لأي عارض نفسي او شذوذ جنسي .

ومشكلة المراهق الكبرى هي كيف يتصرف في اطفاء شهوته فالفتى المسلم الذي وضعه ابواه وهو طفل في طريق التربية القرآنية من عبادة وجماعة في المسجد وخلق حسن ووجود القدوة الصالحة في البيت وفي المدرسة اضافة الى سعي الاسلام بتهيئة المجتمع النظيف كل ذلك يخفف من ثورة الغريزة .. ولكن الغريزة قوية وليس في الدين الاسلامي كبت للغريزة وكذلك لارهبانية في الاسلام ، ولذلك يأمر الاسلام هذا الشاب بالزواج ذلك بان يجعل الكفاءة هي شيء يسير من القابلية المادية احياناً والاصل الخلق والدين ، كما جعل كفاءة الفتاة الخلق والدين مع شيء من الجمال قليل وهو ميسور ولم يضع شروط الزواج صعبة يتعذر فيها الجمع بين الذكر والانثى مثل المال والوظيفة والحسب والنسب والجهل وكلها مقاييس جاهلية .

وهناك في الاسلام امداد معنوي لطلب الزواج كتبه الله عز وجل على نفسه قال عليه الصلاة والسلام (ثلاث حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد العفاف)[٤] .

فان تعذر للشاب الزواج لعدم القدرة فليمسك ويتعفف ويستعن على ذلك بالعبادات كالصلاة والصوم قال عليه الصلاة والسلام (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه لــه وجاء)[٥]

ولابد من الاشارة الى الشاب الذي يقضي كثيراً من وقته او بعض وقته في مجتمع يختلط فيه مع المرأة الغريبة من غير محارمه ، لينظر هذا الشاب الى مكانه قبل

---

(٤) اخرجه احمد في المسند والنسائي والترمذي نقلا من الجامع الصغير .
(٥) اخرجه البخاري ومسلم .. سألت بعض الشباب الذين قد اعتادوا صوم التطوع فاجابوا بالفائدة وسألت شيخا تعود صيام التطوع فقال ان الصوم بالنسبة لي يزيدني قوة ورغبة ..

كل شيء فان استطاع ان يبتعد فليفعل[٦] فان كان الشاب في معهد دراسة فوجوده بين الفتيات هو من باب الضرورة لان الاسلام يضع واجب الانفاق على الرجل فلا بد له ان يتعلم ليحصل على المال فيحيا الحياة الطيبة المحترمه ولان العلم قوة والمال قوة (والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير) •

اكرر ان وجود هذا الشاب هو من باب الضرورة فليستخدم هذه الضرورة وفق احكامها وبقدرها فلا يحق له ان يتجاوز مقدارها كمية ونوعاً فمثلاً عليه ان يبتعد عن الفتاة ما وسعه ذلك وان كان لابد من الكلام فليقتصر على الدرس ولا شيء غير الدرس الا ان يكون ارشاداً دينياً وتوجيها ، وليكن في كلامه مؤدباً ، فلا يلفظ ما قد يصرف ذهنه عن غير العلم ولا يجوز للمسلم ان يخلو بالفتاة خلوة تامة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي اخرجه البخاري ومسلم (لا يخلونّ احدكم بامرأة الا مع ذي محرم) •• ولا يقربنّ الشاب غرفة خاصة بالطالبات او منتدى لهن •• وبصورة عامة لا يصح له ان يفعل ما يثير الشهوة الجنسية كالاناقة المفرطة والتعطر مثلاً وعليه ان يلبس ما يناسب الرجولة ولا يكون في موقف المخنث المقلد لزي المرأة وحركاتها •

ولا يعتمد المسلم على قوة ايمانه فيفعل ما يحوم به حول محارم الله فان الشيطان كما قال عليه الصلاة والسلام (يجري من الانسان مجرى الدم) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ما اجتمع رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما) وليضع الشاب نصب عينيه دائماً قول نبيه الاكرم (الحياء من الايمان) ، (الحياء لا يأتي الا بخير) •• اخرج هذه الاحاديث البخاري وغيره ••[٧]

---

(٦) مثلا ان كان موظفا فليطلب نقله الى دائرة ليس فيها احد من النساء وان جاء ذلك على حساب ضرره الاقتصادي او الاجتماعي فان رضا الله غاية المسلم •

(٧) لم اذكر شيئا عن الفتاة لان الدين الاسلامي لا يرخص للمرأة اختلاطها بالرجل بشكل سافر ابدا وقد سمح لها مع الحشمة والادب عند الضرورة القصوى كالحرب والتمريض (احيانا) •• لان الاسلام كما قلت يحترم المرأة فيضعها في مكانها اللائق ويهذبها الى اقصى الحدود في اطار رسالتها العظيمة وهي تربية الجيل واذا خسرت الفتاة شيئا من علوم الجامعة فان ضرره اقل بكثير من ضرر المجتمع من اختلاطها بالفتى على ان الدولة المسلمة مسؤولة عن تدارك هذا النقص بسرعة ان كان هذا العلم ضروريا لرسالتها •

قلت ان الغريزة الجنسية قوية فقد يكون الشاب في مجتمع مختلط او يتعرض لاثارة شهوته ، وهو غير قادر على الزواج ففي مثل هذ الحالة اجاز له الاسلام التفريغ باليد (العادة السرية) عند الضرورة القصوى وعند الخوف من وقوعه في الفاحشة[٨].

واكرر مرة اخرى وانصح الشاب بالزواج حتى لو كان تلميذاً او موظفاً صغيراً وليتق الاباء الله في بناتهم وييسروا لطلابهن ، وليعلم الفتى والفتاة أن النوم على الحصير ـ كما يقال ـ واكل الاسودين ـ الماء والتمر ـ خير ألف مرة للامة المسلمة من العزوبة .. ليتذكر الشباب ان عمرهم في هذه الدنيا قصير فلا يتأخروا عن الزواج من اجل أثاث ولقمة مترفة .

فالى الزواج ايها الشباب ..

مشاكل الزواج :

ان من المشاكل المهمة هي عدم قدرة الشباب ليلة الزفاف اي المباشرة .. والغالب أن يكون ذلك نفسياً بسبب احجام الفتاة او نفرتـه منهـا لشيء احس بـه ظاهـراً او باطناً او بسبب بعض العادات الجاهلية ليلة الزواج ..

وقد حلّ الاسلام ذلك وقاية باختيار الزوجة الصالحة ذات الخلق والدين ، كما ان اشارة النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي اخرجه ابو داود والنسائي

(تزوجوا الولود الودود) تدل هذه الاشارة على جواز تشريع فحص المرأة والرجل طبياً واتباع احدث الوسائل العلمية في ذلك . وتعليم الفتى الرفق في كـل شيء ييسر له امره ولا يكون سبباً لنفرة زوجته .. كما ان التدرج في تعليم الفتى والفتاة يجعل المرأة التي لا ترى غير وجهها وكفيها للاباعد يجعلها تستسلم للرجل .. واهم ما جاء في الاسلام لمنع البرودة الجنسية وكذلك لتكون المباشرة صحيحة وصحية ومرضية لكلا الزوجين جاء في القرآن الكريم ما يشير الى المداعبة وكذلك في احاديث نبوية مختلفة .. قال عز وجل في سورة البقرة (احل لكم ليلـة الصيام الرفث الى نسائكم هنّ لباس لكم وانتم لباس لهن .. الآية) ..

---

(٨) ذكرت المفصل عن آراء الفقهاء ورجح عند اغلب الفقهاء الجواز (ان احببت راجع كتاب الاسلام والتربية الجنسية) ..

والخص للقارىء الكريم ما جاء في تفسير الفخر الرازي والقرطبي وابن كثير لهذه الآية وما جاء في لسان العرب والمحيط في معنى كلمة (رفث) •

قال القرطبي[٩] [الرفث كناية عن الجماع وقال الزجّاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته والرفث التصريح بذكر الجماع والاعراب به قال الشاعر

(ويرين من أنس الحديث زوانياً ويهبن عن رفث الرجال نفار)

وفي تفسيره لآية الحج من سورة البقرة قوله عز وجل (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) قال القرطبي (الرفث الجماع وفحش القول واللغا) انتهى وقال الفخر الرازي[١٠] (ان ابن عباس قال شعراً وهو محرم فاعترضه رجل وقال له أترفث وانت محرم فقال ابن عباس الرفث ما كان عند النساء قال الفخر الرازي فثبت ان الاصل في الرفث هو قول الفحش ثم جعل ذلك اسماً لما يتكلم به عند النساء من معاني الافضاء ثم جعل كناية عن الجماع وعن كل ما يتبعه) انتهى[*] • فالرفث جائز بل ربما مطلوب من الزوجين اذ انه احد جوانب المداعبه اللازمة للمباشرة الصحية المرضية[١١] •

وفي هذه الآية اشارة الى المداعبة والمباشرة قوله عز وجل (هنّ لباس لكم وانتم لباس لهن) •• قال القرطبي[١٢] [اصل اللباس في الثياب ثم سمي امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباساً لانضمام الجسدين وامتزاجهما وتلازمهما تشبيها بالثوب ••

وقال بعضهم يقال لما ستر الشيء وداره لباس فجائز ان يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه[١٣] وقال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن[١٤] •

---

(٩) ٢/١٦٥ •
(١٠) ٥/١١٥ وما بعدها •
(*) وفي لسان العرب مثل هذا •
(١١) هذا بيت الشعر الذي لم اذكره موجود في كتب التفاسير الثلاثة التي ذكرتها اعلاه •
(١٢) يقول علم الطب ان اول علامة البرودة الجنسية بين الرجل والمرأة هو عدم الرفث وحين تشكو المرأة من عدم عناية الزوج بها وعدم مداعبته لها تقول عنه انه لا يرفث (نقلا من اعداد مختلفة من مجلة الاخبار الطبية) •
(١٣) جامع الاحكام للقرطبي ٢/٣١٦ •

وقال مجاهد لباس سكن لكم] انتهى من تفسير القرطبي •• وقال الفخر الرازي [سماه لباساً لأنهما يعتنقان حتى يصير كل واحد لصاحبه كالثوب الذي يلبسه ••• وقال ايضا جعلها لباساً للرجل من حيث انه يخصها بنفسه كما يخص لباسه بنفسه ويراها اهلاً لأن يلاقي كل بدنه كلّ بدنها كما يعلمه في اللباس ويحتمل ان يكون المراد ستره بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن المــرأة حاضرة •• قال الواحدي انما وحّد اللباس بعد قوله هنّ لأنه يجري مجرى المصدر وفعال من مصادر فاعل وتأويله هن ملابسات لكم قال صاحب الكشاف ••• وهو انه اذا حصلت بنكم وبينهن مثل هــذه المخالطة والملابسة قلّ صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخّص لكم مباشرتهن « اي يقصد في رمضان »] انتهى من الفخر الرازي •

وجاء في المنار [لفظ لباس هنا مصدر ملابسة بمعنى خالطه وعرف دخائله ••]

واذكر القارىء الكريم ان اللباس مظهر وزينة قال تعالى في سورة الاعراف [يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشا] والريش هو الزيـادة والاضافة لستر العورة وهو مظهر وترف وزينة • فالمرأة زينة للرجل ومظهر لــه يباهي بها وكذلك الرجل فلينظر كل منهما لهذا المعنى ويتأمله ويتمثله ولا يُسرف لقول الله عز جل في سورة الاعراف ايضا (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا •• الآية) فالمرأة لباس للرجل وزينة له وله ان يستمتع بهذه الزينة بكل ما يريد •

فله ان ينظر الى كل جزء من جسمها بل له أن ••••[١٦]

يستدل من هاتين الآيتين وغيرهما أن الاسلام لم يمنع الزينة بل حث عليهـا في حدود العورة والحجاب والمحارم •• وفي قوله عز وجل في سورة البقرة (ولهن

---

(١٤) قال تعالى في سورة النبأ (وجعلنا الليل لباساً اي سترا ومن الستر كتمان السر كما قال تبارك وتعالى عن الزوجات الصالحات (فالصالحات قانتات حافظات للغيب) ••

(١٥) استنبط احد الكتاب في مجلة الانصــار المصرية من هذا التفسير الوضــعية الاعتيادية للمباشرة وقال ان لباس الرجل ما يسنده ولباس المراة ما يسترهــا (قرأت هذا قبل اكثر من ٢٥ عاما) •

(١٦) ١١٦/٥ •

مثل الذي عليهن) قال الامام ابو يوسف « انني اتزين لأمرأتي كما احب ان تتزين لـي »[١٧] .

وقد عُرِّفت الزينة (تحسين الشيء بغيره من لبسه او حلية او تحسين الهيئة بوسائل اخرى[١٨] .. قال النبي صلى الله عليه وسلم (... الا واخبرك بخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضها[١٩] ... فاقول على المرأة ان تفعل ـ طبعا في حدود الحلال ـ وتتزين للزوج بكل ما اوتيت من علم وخبرة وفن في هـذا الباب لتدخل السـرور الى زوجهـا .

اوقات المباشرة :

مما لاشك فيه أن المباشرة جائزة في كل وقت عدا ما حرّم الله في نهار الصوم وبعض ايام الحج .. فقد ورد في الحـديث الشـريف ما يوجب على المـرأة أن تستجيب الى زوجها متى دعاها ، ولكنّ آيتين من القرآن الكريم تشيران الى افضلية ان تكون المباشرة في الليل ، في ساعة معينة من الليل ، وفي الظهيرة عند القيلولة .. ففي آية سورة البقرة (احل لكم ليلة الصيام الرفث) يقول عز وجـل في آخرهـا (... فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر .. الآية) .. جاء في تفسير الفخر الرازي[٢٠] [وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل] وقال ايضا (لا تباشروهن الا في الاوقات التي أُذن لكم في مباشرتهن ...) وقال ايضا « وابتغوا ما كتب الله لكم من الاخلاص

---

(١٧) انظر ما قاله القرطبي في تفسيره للآية الكريمة من سورة النور (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) .
(١٨) نقلا من مقال لعبدالحميد السائح .
(١٩) التزين والحلى عند المرأة زكية عمر العلي من منشورات وزارة الاعلام .. وقد ذكرت نقلا عن ابن كثير في تفسير قوله عز وجل (قل من حرم زينة الله ..الآية) فرجعت اليه ولم اجد شيئا فيه مما نسبته لابن كثير .
(٢٠) من حديث اخرجه ابن ابي شيبة عن ابن عباس في تفسير قوله عز وجل (والذين يكنزون الذهب والفضة) وذكره ابن كثير بلفظ مماثل انظر ابن كثير ٢/٣٥١ .

في العبودية في الصلاة والذكر والتسبيح والتهليل •••) انتهى من تفسير الرازي •

فيظهر من هذه الآية الكريمة ان المسلم يصلي العشاء وينام ثم يستيقظ قبل الفجر فيباشر ان شاء ثم يتطهر ويصلّي صلاة الليل (التراويح) ثم يتناول طعام السحور في رمضان حتى اذا حان موعد آذان الفجر امسك[٢١] •

اما في غير رمضان فان آية سورة النور وهي قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم ••• الآية) تشير هذه الآية الكريمة الى ان الوقت المناسب للمباشرة هو من بعد صلاة العشاء حتى صلاة الفجر وكذلك في وقت القيلولة ظهـراً •

مأثرة اخرى للاسلام :

اضاف الاسلام مأثرة اخرى منّ الله تبارك وتعالى بها على عباده فقد جعل في الفعل الجنسي الحلال اجراً حسنات يكتبها له عز وجل فضلاً وكرماً • ففي حديث طويل عن ابي ذر قال عليه الصلاة والسلام (••• وفي بُضع احدكم صدقة • قالوا يا رسول الله أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر وكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر)[٢٢] •

هذا جانب من عظمة الاسلام •• الاسلام شمولي ليس له نظير ابداً (استغفر الله ان اقارنه بأي نظام أرضي) ••

ايها الناس لقد بعث الله لكم رسولاً رحيماً أميناً رؤوفاً جاء بما يحييكم الحياة الطيبة فادخلوا في دين الله واوفوا بعهده وميثاقه ••

أخي المسلم ادع معي بهذا الدعاء النبوي •• اللهم اني اعوذ بك من كل شيطان وهامّه وعين لامّة •• اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق •• اللهم اصلح لي شأني كله •• وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين •

والى العدد القادم لاكمال المسألة الجنسية

---

(٢١) ٥/١١٨ ـ ١١٩ •

(٢٢) في الحديث الشريف (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يباشر وهو صائم ثم يجعل بينه وبينها ثوبا) اخرجه احمد وابن خزيمة فالمباشرة هنا تعني المداعبة دون مس الفرج انظر الاحاديث الصحيحة للالباني ٣/٤١ •

(٢٣) من حديث طويل اخرجه مسلم نقلا من (الاربعين للنووي) •

جذور التمييز العنصري

بقلم : الاستاذ حسان داود

* تمثال الحرية يستقبل في ميناء نيويورك كل قادم اليها وقد كتب تحته :
أعطونا جماهيركم المتعبة ، الفقيرة ، التوّاقة الى أن تتنفس في حرية . إبعثوا الي بنفاية شاطئكم المزدحم ، أولئك الذين لا مأوى لهم ولا وطن ، فها أنا أرفع مشعلي قرب الباب الذهبي !
هذه واحدة ..

* ولكن جيمس بيزنز عضو مجلس الشيوخ الامريكي يقول :
لا يوجد أي عمل في ولايات الجنوب لأي رجل ملوّن تعمر قلبه المساواة السياسية ، لأن هذه البلاد ملك للرجل الابيض ، ويجب أن تظلّ كذلك !
وهذه واحدة مضادة ..

* الولايات المتحدة ، تتزعم هيئة الامم ، وتنادي بأن رسالتها هي : رسالة الحرية للشعوب والسلام بين جماهيرها !
وهذه ثانية ..

* ولكن على مرمى النظر من البيت الابيض في واشنطون ، وفي ظل نصب « لنكولن » الجميل ينبسط حيٌ بشع يعيش فيه « ٢٥٠٠٠٠ زنجي = ¼ سكان العاصمة » ، كما تعيش الحيوانات في زرائبها !
وفي هذه العاصمة يحظر عليهم أن يدخلوا الفنادق والمطاعم والمسارح والمدارس والمستشفيات الخاصة بالبيض ، وحتى الكنائس !
وبهم المهانة ، وهذا الاحتقار ، وفي هذا الجو من المرض والفقر والبؤس ، يعيش « ١٥ مليون زنجي = ١/١٠ سكان الولايات المتحدة » !
وهذه ثانية مضادة ..

* هل هناك نقطة ثالثة في صالح دعاة المساواة العنصرية ؟ لا !
ولكن لم الاستعجال ؟ ألم يحرر « لنكولن » العبيد ؟ نعم حررهم .. ولكن

بالحبر على الورق فقط ! لأن كلماته ونداءاته ووثائقه لم تنفذ فعليا •• أي أنها كانت فقاعات صابون •• وهؤلاء هم شهود النقض في محكمة الانسانية :

(١) في ٢٠ ولاية من الولايات المتحدة الامريكية لا يسمح للزنوج أن يتعلموا في مدرسة واحـدة مع البيض ! بل ان ولايـة فلوريدا تقضي قوانينهـا بفصل الكتب المدرسية الخاصة بالطلاب الزنـوج في معزل عن الـكتب الخاصة بالطلاب البيض !

(٢) يمتنع في كل الولايات تقريب زواج بيضاء بزنجي أو أبيض بزنجية ! بل أن ولاية مسيسيبي تبطل زواج الابيض بشخص يكون $\frac{1}{8}$ الـدم الذي يجري في عروقه دماً زنجياً !

(٣) تقضي قوانين ١٤ ولاية بعزل الركاب البيض في القطر الحديدية عن السود •• وكذلك سيارات النقل العامة •• وكذلك غرف الهاتف •• حتى في مستشفيات الأمراض العقلية يفرّق بين المجنون الابيض والمجنون الأســود ! •

(٤) أغرب من هذا أن صاحب مقبرة للكلاب في واشنطن أعلن عام ١٩٤٧م أنه لا يقبل جثث الكلاب التي يمتلكها زنوج !

(٥) دخل زنجي من جمهورية پناما كنيسـة كاثولوكيـة في واشـنطون ، وفيما هو مستغرق في صلاته سعى اليه أحد القسس وقدم له قصاصة من ورق وقد كتب فيها عنوان كنيسة زنجية كاثوليكية ، وحين سئل القس عن سرّ هذا التصرف أجاب : ان في المدينة كنائس خاصة بالكاثوليك الزنوج يستطيع هذا المرء الاسود أن يقف فيها بين يدي ربه ! هـذا وَهُمْ الذين يبشرون بأن السيد المسيح عليه السلام كان للانسانية كلها ! وهنــا :

يثور السؤال الكبير : لماذا هذا التمييز العنصري ؟
الجواب السطحي : هو الفرق بين اللون الابيض واللون الاسود !
ولكن الجواب العميق يرويه كتاب :

★ وهو اكثر الكتب رواجاً في الولايات المتحدة الامريكية حتى الآن ، وقد تجاوز توزيعه « ١٠٠٠٠٠٠ نسخة » وأخذ الامريكيون يقفون في طوابير أمام المكتبات لشـــرائه ٠

★ أنتج كفلم تليفزيوني بلغت تكاليفه « ٦٠٠٠٠٠٠ دولار » وشاهد الفلم حــوالي « ٨٠٠٠٠٠٠ أمريكي » ٠

★ استمر الكاتب ١٢ عاماً ، وبعد أن زار ما يقرب من ٥٢ مكتبة ، وزار آثــار أجداده في جامبيا في غرب أفريقيا ، أخرج هذا السفر الضخم في خريف عام ١٩٧٦م ٠ وهكذا جسّد أحلامه في ٥٨٧ صفحة ٠

★ نال المؤلف تقديراً لجهده ٩ شهادات دكتوراه فخرية من كبريات الجامعات الامريكية ٠

- من هو المؤلف ؟
+ هو الزنجي الامريكي « أليكس هلي »
- ماذا كان يريد المؤلف ؟
+ حاول أن يتتبع في الكتاب حياة أسرته وتطورها حتى جده السابع الذي نزح من جامبيا في غرب أفريقيا ، واستطاع أن يسجّل تاريخ سلالته لمدة « ٢٠٠ سنة » من العذاب وحياة العبودية التي عاشها أجداده عندما أجبروا على أن يتركوا بلادهم في غرب أفريقيا ويهاجروا الى أمريكا الشمالية ٠
- فماذا أثبت ؟
+ أثبت هذا الكتاب أن الزنوج الاوائل الذين استعبدوا وأرغموا على الهجرة الى القارة الامريكية هم من المسلمين الافريقين !

ومن بعض الشواهد :

(١) ان جدّ الأسرة الاول عاش في موريتانيا ، وان اسمه كيربا كنتا كنتي Kairaba Kunta Kinte = بالانجليزية Marabour

= بالعربية مرابط أي الناسك

(٢) جدّ الاسرة الذي هاجر من موريتانيا الى جامبيا اسمه Omoro عمرو ، وعندما رزق عمرو بمولود رفع سكان القرية أيديهم وراء الامام مهللين ومكبرين : الله اكبر ، أشهد أن لا اله الا الله (الكاتب سجّل الكلمات العربية ذاتها بحروف لاتينية) وسمى بعد ٧ أيام « كنتا كنتي » (بأسم جده الاكبر) •

(٣) قريــة جوفيور التي خرج منها كنتا كنتي قوم متمسكون بتعاليم دينهـم الاسلامي الحنيف ، وان عمرو وابنه كنتا كنتي يكثرون من استخدام الآيات القرآنية واستعمال المصطلحات المتداولة عند المسلمين مثل « ان شاء الله » و « آمين » • وكان يتمنى كنتا كنتي أن يزور مكة وان يؤدي فريضة الحج ، ولقد كان مثل أقرانه من أطفال القرية يحافظ عــلى الذهاب الى المسجد لدراسة القرآن على أيدي الامام •

(٤) عندما اكتشف عمرو بأن ابنه قد خطفه الجنس الابيض فانه خرّ لله ساجداً وسلم أمره له • وظلّ كنتا كنتي المختطف في أمريكا الشمالية مثالا للمؤمن الصادق الذي يعتصم بحبل الله المتين ومع ذلك يجاهد بنفسه وماله في سبيل التحرر من العبودية • ويبرز ايمان كنتا كنتي الشديد واعتصامه بحبل الله في انه كان دائما يردد اسم الله (من أمانة المؤلف العلمية أنه استعمل لفظ Allah ، والممثلون في الفيلم استعملوا نفس اللفظ بدون أي ترجمة أو تعريب) •
وفي أحد أيام رحلته التعسة ، وهو على الباخرة التي أقلته الى أمريكا الشمالية ، ضاقت عليه الدنيا ، وسأل نفسه : أين الله الموجود في كــل مكان وكل زمان لينقذه من تلك اللحظات الحرجة ؟ ولكنه راجع نفسه قائلاً : ان هذه الشكوك لا تجعله أحسن من هؤلاء « الكفرة » الذين استقبلوه على ظهر هذه الباخرة ! وعاد يستغفر ربــه ويدعو لروح المعذبين معه على ظهر هذه الباخرة •

* والكتاب يعطي صورة حية عن المعاملة الوحشية التي عومل بها العبيد في أمريكا الشمالية ، صور وحشية عدة غطت صفحات هذا الكتاب منذ أن ركب كنتا كنتي

الباخرة التي حملته الى أمريكا الشمالية ، ان مشاهد هذا الكتاب المبكية خير دليل يشهد على المعاملة القاسية التي وجدها الزنوج من الاوربيين والامريكان ، وان تاريخ العبودية في أمريكا ! اتسم بصورة بشعة قلّ أن تجد لها مثيلاً في أي بقعة من بقاع العالم .

فاذا سألنا : ما هي جذور التميز العنصري ؟

كان الجواب المرير : لأنهم كانوا مسلمين !

المراجع : من روائع حضارتنا/الدكتور مصطفى السباعي ، مجلة العربي الكويتية/ حزيران ١٩٧٧ .

في الحسد

اجتمع ثلاثة نفر من المعدودين في الحسد . فقال احدهم لصاحبه ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما اشتهيت ان افعل لأحد خيراً قط حسداً له . فقال الثاني : انت رجل صالح . أنا ما اشتهيت ان يفعل لي خير قط حسداً لنفسي . فقال الثالث : كلاكما صالحان أما انا فما اشتهيت ان تبقى نعمة على أحد حسداً له فاعترف الاثنان انه شرهما.

وتذاكر قوم من ظرفاء البصرة في الحسد . فقال رجل منهم : ان الناس ربما حسدوا على الصلب . فانكر عليه ذلك فسكت . ثم جاءهم بعد أيام فقال :

ان الخليفة قد أمر بصلب الاحنف ومالك بن مسمع وحمدان الحجام . فقالوا يالله !! كيف هذا الخبيث حمدان يصلب مع هذين الرئيسين ؟ فضحك وقال : ألم أقل لكم ان الناس يحسدون حتى على الصلب .

الوقت واهميته في حياة المسلمين

بقلم : الاخت عذراء محمد الرجب

لقد أصاب مَن قال : الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك . ويتضح لنا هذا الفهم وهذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمــك ، وغناك قبل فقرك » . رواه الحاكم والبيهقي وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنه .

فالانسان العاقل يدرك هذه المعاني جيداً وينتهز فرص الوقت والفراغ بمـا ينفعه وينفع الناس ، ويحقق رضا الله تعالى له في دينه ودنياه . كما يعلم ان الوقت الذي يمر على الانسان نعمة كبيرة من الباري عز وجل . الوقت نعمةٌ اذا ما عرف الانسان قدره وانتهز فرصه المثينـة بما يرضي الله وهو نقمة اذا ما فـرط الانسان فيه وضيّعه بما يغضب الله . حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « نعمتـان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ » رواه البخاري والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنه .

وللوقت : أهمية كبيرة وهي أنه سبيل التذكير لمن صفت قلوبهم وتعلقت بالحق سبحانه وتعالى ، يقول عز وجل : « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً » . سورة الفرقان . آية (٦٣)

وكذلك تبرز قيمة الوقت واضحة في أولئك الذين غفلوا عن ذكر الله وتحجرت قلوبهم فهم يقتلون الوقت بالسفاسف والترهات ، وتمضي بهم السنون وكأنها لحظات عابرة فهؤلاء هم الذين سُحروا ببريق الدنيا وزينتها يقول تعالى : « ان الذيـن لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » . سورة يونس آية (١٠) .

هؤلاء الغافلون نسوا لقـاء الله ، وما دروا أنهم محاسبون عن كل ذرة مـن أعمالهم يقول تعالى : « يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ،

والله على كل شيء شهيد » سورة المجادلة آية (٦) .

هؤلاء الغافلون لم يتعظوا بحوادث الزمن ولم يعرفوا قيمة للوقت وانه يمضي ولا رجعة له ، ورأس مال الانسان عمره الذي يحياه .

هؤلاء الغافلون لم يضعوا قول المصطفى عليه الصلاة والسلام نصب أعينهم : وقد يُسرّ الانسان حينما يكون في بحبوحة من العيش ثم يأتي يوم تضيق به الدنيا « لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » .

والوقت عنصر عام في حياة البشر ، اذ فيه تقام الحضارات ثم تفنى بعد حين ، فيتلوّى من ألم الفاقة والحرمان .

ويا اخواني اعلموا أن كل مفقود يمكن استرجاعه يوما ما الا الوقت .

وينجلي هذا الفهم واضحاً في قوله صلى الله عليه وسلم : « ما مِن يومٍ ينشق فجره الا ومنادٍ ينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فاني لا أعود الى يوم القيامة » .

واعلموا ايضاً ان الاسلام حث أتباعه على عدم اضاعة الوقت في البطالة والتكسع في نواديها ، وحبب للمسلمين أن يستفيدوا من يومهم كله من طلوع الفجر الى أن يأوى أحدهم الى فراشه ينتقلون في حياتهم بين طاعة الله والعمل للدنيا وكسب العيش الذي هو نوع من الجهاد واليد العليا خير من اليد السفلى .

وبهذه المناسبة وانتهازاً لهذه الفرصة نذكر المربين قائلين ، ان أهم ما يلزم عليهم أن يضعوا في اعتبارهم تربية أولادهم وبناتهم ومَن تحت رعايتهم ، خاصة ونحن في العطلة الصيفية وانتهاء العام الدراسي ، فعلى المربين أن يدركوا أهمية الوقت وأن ينتهزوا هذه الفرص الثمينة التي هي في الحقيقة الاوان الحقيقي لجهدهم الموصول بالعمل للتربية الاسلامية والخلقية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى مَن من كلّفوا بتربيتهم ، ووقايتهم من الانحراف بكل أشكاله .

هذا وان الرسول صلى الله عليه وسلم حث الآباء على تربية اولادهم التربية الاسلامية باسمى معانيها ، حيث قال ، (ما نحل والد من نحل افضل من ادب حسن)

وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

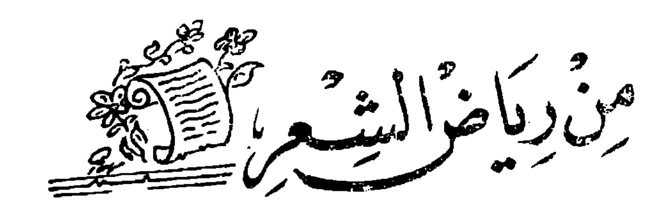
وقال الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » . سورة التحريم آية (٦) .

وأعلموا أن مَن شب على شيء شاب عليه ، ونفس الاولاد والبنات تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر ، وتنطبع فيها الاخلاق الحسنة ، كما تنطبع فيها الاخلاق السيئة . فاذا وجد في هذه المرحلة الحرجة من يلتزم بتربيتهم ويحسن تأديبهم ويسلك بهم سبل الاستقامة وطريق الادب والكمال شبوا جيدي الخلق طيبي النفوس ، متعلقين بآدب الفضيلة متمسكين بحبل الهدى والرشد ، مترفعين عن الرذائل والخطايا ، معتصمين بالله ، يقول تعالى : « ومَن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم »[1] . لذلك فان الله تعالى أراد من المسلمين أن يكونوا أمة مجدة في الحياة فلا تضيع وقتها هباءً . وقد تحقق هذا الفهم في سلف الامة الاسلامية يوم أدركوا هذه المعاني جيداً ، حتى أن الواحد منهم كان يرمي بتمرات من بين اصابعه ليلحق بركب الجهاد ، ويحسب في تناولها ضياعاً للوقت في ساعة اشتد أوج الحرب مع أعداء الله وأعداء المسلمين ، فكانت العزة لهؤلاء السلف الصالح ، وكان حليفهم النصر ، وما النصر إلاّ من عند الله .

وختاما ، ما أحوج المسلمين اليوم أن يعرفوا للوقت أهميته ، فيمضوا فيما أمرهم به ربهم سبحانه وتعالى ، وأن لا يدعوا لحظةً واحدة تنقضي دون أن يحصلوا منها على فائدة مرجوة في دينهم ودنياهم ، وسبيلهم الى ذلك أن ينيبوا الى الله تعالى ويشمروا عن ساعد الجد ، وينفضوا عنهم غبار الكسل ، ويأخذوا بأسباب النصر ، والقوة والمنعة ، ولا شك أن الله تعالى آخذٌ بأيديهم الى سبيل الخير والنجاة والنصر المبين ، ومحقق لهم السعادة الحقة في الدنيا والآخرة ، يقول عز وجل : «انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد» سورة غافر آية (٥٢).

---

(١) آل عمران آية (١٠٢) .



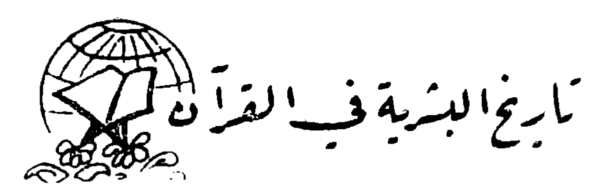
أقوى سلاح في ساحات النفس

للاستاذ : محمد سعيد قلو

إذا صالَ في ساحات نفسك قاهرٌ   فدافعه عنها بالعقيدةِ والتقى
هما ترسُها للاتقاءِ وسيفُها   لقطع وصالِ الهم ما ان تعلقا
سلاحان أجلى الصدق والصبر منهما   شروط الونى والخصمُ عاث فأرهقا
وقد مست الايامُ منا قلوبَنا   فما ولدت الا التوأم تنسقا
لغوباً يُزجّي في الشرايين فيئَهُ   وحزنا على الارواح ألقى المطوقا
فيا واقعاً في بحر همٍّ موسع   لك المرتجى لو كان بحرُك مغرقا
تمسَّك بحبل الله تلقَ مُعاهدا   يقود الى امن النفوسِ محقَّقا
ويرمي بك الشطر الذي فيه نعمةٌ   من الثقة الكبرى بمن حاك موثقا
ويرقى بك الأُفْقَ الذي صار ملجأ   لكل طريد الضيق يقصُدُ مُرتقى
إذا شئت فاسأل كل صادقةٍ لها   مع الله في كل المسائل مُلتقى
لتخبرك الحق اليقين بأنها   مطمئنةٌ في جنب من هيأ اللقا
وتعلمَ علماً كالفصاحةِ واضحاً   بان الذي اختارته احسَنُ منتقى
طريقاً مع الايمان يطفح بالسنا   كما طفح الاشراقُ صبحاً تألقا
إذا حلَّ ايمان بنفسٍ كأنما   هو الشمسُ عادت عندها النفس مَشرقا
ويُصبحُ تقواها أمانا من العمى   وقد عادَ إبصار الصلاح تحدُّقا
وعادت عيون المنحنين على الخنا   تنمُّ عن الجهل الذي كانَ مطبقا
كذلك تخبو في النفوس مشاعلٌ   إذا ما استطابتَ كل جهل تعمقا
فتاهت بصحراء الضلال دروبُها   فما خطوةٌ إلا تشكت تمزقا

* * *

تجولُ باسماع القلوبِ حقيقةٌ لها فَلَكٌ قد خُطَّ حراً مطلَّقا
تقول : من اشتاق الحياة بعزةٍ تراهُ باجواء العقيدة حلَّقا



ـ طور الرسالات ـ

الحلقـة الاولى

للاستاذ : عبدالغفور العقرب

نوح ـ عليه السلام ـ

دخلت البشرية بعد طورها الاول منذ آدم عليه السلام حتى اول رسول يرسل الى الناس ، دخلت في طورها الثاني وهو طور الرسالات ، حين ازداد الصراع وتعددت المشاكل وكثر النسل • كل هذه الامور احتاجت الى قانون ينظمها • والصـــراع يحتاج الى تنظيم والمشاكل تحتاج الى حل وزيادة البشر تحتاج الى رعاية وتوجيه • لقد مرت البشرية خلال الطور الاول باقسى ظروف الحياة وواجهت صعوباتها ثـم ان الفترة التي اعقبت نزول سيدنا آدم الى الارض ، وتوارث نسله خلال تلك الفترة ، كذلك اصطراع قوى الشر مع قوى الخير وغلبة الاولى على الثانية في فترة ما قبـل الرسالات • كل هذه كانت تمهيداً من جانب الحق تبارك وتعالى ، ان يرسل رسولا الى الناس ليجدد عقيدة التوحيد التي ابتعدوا عنها لقد كان مهمة الرسول الاول ان يقف بصمود وشجاعة وصبر واحتمال ليبلغ رسالته التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية وكانت مهمته ان يتحمل بقلب كبير عنعنات البشرية وهي في طفولتها على الارض ليرشدها الى طريق الحق الذي سار عليه ابوها آدم قبل سنين خلت ، وان يعطي مثلا بالصبر لمن يأتي بعده من الرسل •

لقد طال الامد على الذين جاءوا بعد آدم عليه السلام فقست قلوبهم واتخذوا اصناما الهة يعبدونها من دون الله ترمز الى قوى ظاهرة وخفيه ثم جسموا هـــذه الاصنام فكانت الخمسة التي ذكرها القرآن الكريم (وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا) نوح/الآية/٢٣ •

ما اتعس الحياة على بني الانسان حين تبتعد البشرية عن منهج الله فيها وتتمسك بخرافات واباطيل من المادة والفكر حين تداس فيها القيم الانسانية العليا ، حين تضيع

الموازين وتشذ المقاييس فيمسي البشر وان حلقوا في اعماق الفضاء وجاءوا بقبضة تراب من القمر وان غاصوا في اعماق الارض وخرجوا منها بارطال الذهب والحديد ، يمسي هؤلاء سوائما تأكل وتشرب وتتكاثر كما تفعل بقية السوائم ، بل انها لتصبح اضل من السوائم حين تحيد عن منهج الله • لان السوائم ذاتها انما تسير وفق منهج الله الثابت لها بصفتها سوائما لا تدرك ادراك الانسان •

ولما كان الله تعالى قد خلق الانسان ليسمو بروحه وعقله ، ولما كانت النفس البشرية بحاجة مستمرة الى تذكير وتنبيه وتوجيه وارشاد وتحذير كذلك فقد ارسل الله نوحا عليه السلام ليحيي عقيدة التوحيد التي ران عليها غبار الايام وليفتح صفحة جديدة من الصراع لقد كان نوح عليه السلام اول من فتح صفحة جديدة في تاريخ البشرية مليئة بالجهاد والعمل المضني لاثبات التوحيد ونفي الشرك والوثنية ولكن البشرية الطفلة كذبت وتعنتت فحسم الطوفان النزاع • يطالعنا تاريخ البشرية في زمن نوح عليه السلام بالنكسة البشرية الاولى التي ضربت العقل والمنطق واتخذت لاول مرة في حياتها اصناما من الحجر الاصم وضعتها موضع الآلهة ، هذه النكسة اطاحت بالعقل الانساني وسدت منافذ ادراكه فجعلته كالحيوان الاعجم بل واضل •

فالبشرية طيلة تاريخها لم تر حيوانا قابعا امام صنم من الحجاره يلوذ به من خوف ، حين تغلق منافذ الادراك عند الانسان وحين ينعدم الاحساس بمعنى هذا الوجود • نرى الانسان لا يخاطب القوة الفاعلة لما تشاء والتي بيدها كل شيء فيكون الانسان بذلك لو فعل قد ارتفع في سلم الانسانية المدركة ، وانما يخاطب حجارة صماء كما رأينا مع قوم نوح فانحطت به الى ادنى من الحيوان ، انها نكسة مات فيها ضمير الانسان وعقله واحساسه كما عميت معها بصيرته ، لقد كانت هذه النكسة بداية لمثيلاتها في تاريخ البشرية اللاحق •

كما يطالعنا بالجهل الحقيقي للقيمة البشرية وللموازين والمقاييس التي يقاس بها البشر فقوم نوح لا ينظرون الى المعاني والقيم الانسانية التي اكتنفت وجود القله التي آمنت بنوح ، او الى النفس الشاعرة التي آمنت بالحق حين عرفته ، وانما تعلقت نظرتهم بالمادة ورسخ في نفوسهم المريضة ان رفعة الانسان ومكانته هي المادة هي ما يملك من اموال • واما جهلهم الثاني فهو عدم تصديقهم بان بشرا من الناس

يأكل ويشرب يمكنه ان يتلقى الوحي من السماء • انه جهل بالنفس المتفتحة للحق ، الصافية من كل شائبه التي باستطاعتها التلقي عن الملأ الاعلى • قال تعالى (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي) هود/الآية/٢٧ •

كما يطالعنا بوجود نماذج بشرية متعنته متسلطة على رقاب الناس ، وتحسب انها بما تملك تستطيع ان تشتري النفوس المؤمنه ، تشتري عزتها وكرامتها تشتري ايمانها وعقيدتها مقابل ثمن بخس ، وظنت انها بما تملك تستطيع رد قوة الايمان او تضييق فسحته الروحانية اذا مست القلب الحي ، لقد نسيت تلك النماذج المغروره ان قيمة الحياة لا توزن بالمادة لا توزن بالدراهم ، نسيت ان المعاني والقيم هي اصلب بكثير من قوة المادة ، وقد ثبت هذا فعلا امام اعينهم وهم يرون انفسهم وما يملكون تبتلعهم الامواج الهادرة ، ويرون القلة المؤمنة الفقيرة التي لا تملك الا العقيدة مطمئنة راضية يتهادى بها الفلك وسط الموج الصاخب •

كما يطالعنا بصمود رجل العقيدة لا يتزعزع ولا ينحرف عنها ولا يرضى بها بديلا رغم ما يلاقي من الاتعاب والآلام ورغم ما يبذل من جهد وما يحصل عليه من سخرية واستهزاء ، فالعقيدة في نفس معتنقها هي اغلى من كل شيء ، اغلى من ماله وولده من راحته وسعادته وحتى من نفسه ـ تسعمائة وخمسون عاماً مضت على نوح بين قومه في تعب وألم ، انها لعمر طويل جدا ومتعب كذلك ان يقضيه الانسان بين سخرية الساخرين واعراض المغرورين •• حقا انها طويلة وشاقة على النفوس الضعيفة الخالية من الايمان ، اما على نوح ، على رجل العقيدة فلا ، انها عمره انها وجوده على الارض ، ان مرور الزمن بالنسبة للمؤمن لا يقاس بالساعات والايام والسنين وانما يقاس بما قدم على مسرح الحياة ، المؤمن يشعر كل يوم انه يولد من جديد ، بقلب جديد ونفس جديدة وكذلك امل جديد في هداية الانسانية •

ويطالعنا اخيرا بان الرابطة الاولى بين الناس هي رابطة العقيدة لا رابطة الدم وحين تفسخ هذه الرابطة ، تنحل بعدها كل الروابط اللهم الا في ميزان البشر • هذه الحقيقة بينها القرآن الكريم واقرها في ضمير المؤمنين لاول مرة في تاريخ البشرية مع نوح عليه السلام ، حتى يقع في حس الاجيال المؤمنة اللاحقة انه لا قرابة امضى

واقوى من رابطة العقيدة ، فها نحن لاول مرة في تاريخ البشرية نرى القرآن يفصل بين نوح وابنه ، لان الابن اصر على كفره ولم يستجب لداعي الايمان الذي هــو ابوه • وعندما وقف نوح ليستنجز وعد ربه في منجاة اهله ومنهم ابنه جاءه الــرد حازما : انه ليس من اهلك ، لماذا ؟ انه عمل غير صالح • بهذه الكلمات الموجــزة يقرر الله تعالى في نفس نوح والمؤمنين حقيقة الصلة واصل الرابطة ، ويقيم مجتمعا مؤمنا يبني افراده علاقاتهم فيما بينهم على اساس العقيدة قال تعالى : (ونادى نوح ربــه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين • قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين هود/الآيات/٤٥/٤٦ •

بهذه الامور التي سلفت طالعنا تاريخ البشرية في زمان نــوح عليــه السلام ، ومضى الصراع واستمر بين نوح ومن آمن به من القلة الضعيفة الفقيرة ، القوية في ايمانها وبين الكثرة الكافرة ، صراع مرير وجهاد دائب • واخيرا تدخلت اليد الخفية التي تدير الاحداث فحسمت النزاع ، تدخلت قوة الازل فطهرت الارض من الرجس والوثنية المتمثلة في اشخاص الكفر وعبدة الاصنام واصحاب المادة ، ونصرت الحق ونشرت التوحيد وبينت ان نهاية كل صراع ستكون للفئة المؤمنة الصابرة تدخلت تلك القوة فارسلت الطوفان فدمر أوكار الطغاة وجرف معه كل معالم الوثنية ، بعد ان هيأ لنوح والمؤمنين سبيل النجاة في الفلك الذي صنعه الداعية الاول بأمر ربــه ، وابتلعت الارض الماء واقلعت السماء ورست السفينة وخرج منها نوح والمؤمنون فاذا بهم امام حياة جديدة كانت تصبو اليها نفوســهم لا صنــم هنــاك ولا عابــد صنم لا كفــر ولا الحاد وانما هي ارض مروية مقبلة على النماء وسماء مشرقة تحيط الارض بهالة من النور والرحمة تتصاعد في اجوائها العليا صباح مساء دعوات الشكر والحمد • وعناية تكتنف الانسان الطيب المجاهد الذي صبر فاثبت وجوده تحت رعاية الله • ومضت الحياة هانئة سعيدة بالايمان والتوحيد وتفتحت الطاقات والمواهب عند ذلك الانسان الخليفة المؤمن وشمر عن ساعديه لعمارة الارض • مضت الحياة تسوسهــا عقيدة واحدة مستقيمة ومجتمع واحد مستقيم في عقيدته ، ومرتفع في انسانيته •• حتى طال الامد على اقوام بعدهم فقست قلوبهم فوجب احداث تصحيح للموازين والقيــم فكانت الحلقة الثانية •

ناصر السنة
الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بقلم : الاستاذ صادق الجميلي

ساد القرن الثاني الهجري موجة من الوعي الديني والفكري واللغوي وتأثر المجتمع الاسلامي بالمدارس الفقهية التي اشتهرت عصرئذ ومن ابرزها مدرستان متعاصرتان كتب لهما البقاء هما : مدرسة أهل الحديث وعلى رأسها الامام مالك بن أنس وأصحابه بالمدينة المنورة ومصر الذين يجعلون عمادهم السنن والآثار ، ولا يجنحون الى الرأي الا بالقدر الذي يرونه ضرورياً .. والاخرى مدرسة أهل الرأي والقياس في العراق وما والاه من الأمصار وعلى رأسها الامام الأعظم ابو حنيفة وأصحابه الذين يعتمدون ، بعد القرآن المحكم والسنة الصحيحة التي لا ريب فيها ، على اعمال العقل ودقة النظر وقوة الجدل والأخذ بالقياس من ابوابه الواسعة ؛ وقد أبنّا بايجاز عن خصائص هاتين المدرستين في بحوثنا السابقة عن الامام أبي حنيفة والامام مالك بن أنس .. وقد توصل الامام الشافعي بعد الدراسة المضنية والتمحيص الدقيق في مناهج هاتين المدرستين الى مذهب وسط يوفق بينهما ، ويأخذ من كل منهما بقدر ؛ فهو مثلاً ينصر السنة نصراً شديداً ، ولكنه مع هذا يأخذ بالقياس في غير اسراف ، اذ يشترط أن يكون له أصل وسند من الكتاب والسنة .

وقد أعانه على سلوك هذا المسلك الحسن ، الأخذ بمناهج المدرستين وان أغضب به كثيراً من أهل المدرستين وأصحاب الاتجاهين ، الا أنه في كل ذلك طالب حق لا جدل في دراساته ومناظراته ، حتى لقد أقرت عنه هذه الكلمة : « ما ناظرت أحداً قط الا أحببتُ أنْ يُوَفَّق ويُسَدَّد ويُعان ، وتكون عليه رعاية من الله وحفظه ، وما ناظرت أحداً الا ولم أبالِ بيّن الله الحق على لساني أو لسانه !! » .

ترجمة حياته :

هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، وجاء لقبه من جده شافع الذي يتصل نسبه بعبد المطلب بن عبد مناف ، أخي هاشم بن عبد مناف جد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، فهو قرشي ، وأمه فاطمة من قبائل الأزد في اليمن وكنيتها أم حبيبة الأزدية ، وكان والده فقير الحال يقطن مكة المكرمة فتركها مهاجراً الى الشام طلبا للرزق ، واستقر به المقام بمدينة « غزة » من بلاد فلسطين ، وفي هذه المدينة العريقة حملت به أمه ، وقبيل ولادته رأت في منامها ـ كما يرويه الخطيب البغدادي في تأريخه ـ : « كأن كوكب المشتري خرج من بطنها وارتفع في السماء حتى انقض بمصر ، وسقطت منه أجزاء أصاب كل جزء منها بلداً فأضاء به ، فقامت السيدة مذعورة من نومها ، وفي الصباح الباكر قصت الأم رؤياها على المعبرين من أهل الصلاح ، فأخبروها بأنها ستلد ولداً ـ يملأ طباق الأرض علماً وهدى !! » • وفعلاً صدق الله الرؤيا في هذا المولود كما عبر عنها المعبّرون ••

فقد ولد الشافعي في سنة مائة وخمسين من الهجرة النبوية (١٥٠هـ/٧٦٧م) وهي السنة التي مات فيها الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وقال الناس في ذلك : مات امام وولد امام ، وبعد سنتين من حياة الغربة توفي والده وهو لا يزال في المهد ، فكفلته امه يتيماً فقيراً غريبا ، ولم تطق الأم حياة الغربة والبعد عن الأهل والعشيرة فتوجهت به الى مكة ، تريد بذلك أن ينشأ الشافعي الطفل بين قومه من قريش في رحاب الحرم المكي ، ولتستعين على تربيته من أقاربه وأهله ، ولينشأ على حب الاعتزاز بالنفس والالتصاق بالأهل والعشيرة وكذلك على حب الاعتزاز بنسبه من رسول الله وآله ، وكان يقول : « علي بن أبي طالب عمي وابن خالتي » ودائماً يظهر حب آل البيت ويتعاطف مع العلويين اينما وجدوا ، ومن أجل ذلك اتهم بالبيعة لهم والخروج على السلطان ولقي ما لقي من أجل ذلك !! ••

نشاته ونبوغه :

عاد الشافعي الطفل الى مكة فنشأ وترعرع بها وجالس أهل العلم وفتح الله عليه من العلم ما لم يفتح على غيره • وكانت أمه البارة تحنو عليه وترعاه الرعاية التي أهلته لأن يكون من نوابغ امتنا ومن علمائها المشهورين ، فأرسلته الى الكتاب لينشأ

كما ينشأ الأقران متعلماً مبادىء الدين وبعض علوم عصره رغم فقره ، وربما كان الفقر هو سبب الفلاح في العلم كما يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ : « ما أفلح في العلم الا من طلبه في القلة » . فنبغ نبوغاً ظاهراً ، ومما يرويه هو عن نفسه فيقول : « كنت أنا في الكُتّاب اسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا ، وكان الطلاب يكتبون ما يلقيه عليهم المعلم ، وما أن يفرغ من الأملاء عليهم حتى أكون قد حفظت جميع ما أملي . فقال لي ذات يوم : ما يحلُّ لي أن آخذ منك شيئاً » . حتى أخذ المعلم يعتمد عليه في تدبير شؤون الكتاب فأوكل اليه تعليم أقرانه ، فكان يعلمهم كما يعلمهم الاستاذ .

ولما بلغ الشافعي تسع سنوات كان قد أتم حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا مع فقه معانيه وأحكامه .. وكان يترك الكتّاب أحيانا ويدخل المسجد الحرام ، ليجالس العلماء ويحفظ الحديث وعلوم القرآن ، وكان لشدة فقره يجمع العظام وغيرها ليكتب عليها مذكراته والدروس التي يتلقاها عن اساتذته .. يقول عن نفسه : « .. ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف ـ أي قطع الفخار ـ والدفوف ـ أي الجلود ـ وكَرَبَ النخيل وأكتاف الجمال ، أكتب فيها الحديث وأجيء الى الدواوين ـ أي دواوين الحكومة ـ فاستوهب منها الظهور ـ أي الاوراق ـ فاكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكربا مملوءة حديثاً ، ثم اني خرجت عن مكة فلزمت هُذَيلاً في البادية ـ أي قبيلة هذيل المعروفة بفصاحة اللسان ـ أتعلم كلامها ، وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب !! قال : فبقيت فيهم خمس عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب » .

وفي هذه السن الصغيرة كان قد أتم الشافعي علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه واللغة والشعر والنثر والآداب وكثيرا من العلوم الشائعة في عصره حتى أخذ عنه الأصمعي شيخ القراء ، وكان يفتخر بأنه تلقى اشعار الهذليين على الشافعي ! ..

ولما رأى علماء مكة أن الشافعي وصل الى درجة عظيمة في العلوم أجازوه بالفتوى ، وأن يكون مفتياً ، منهم مفتي مكة وشيخه مسلم بن خالد الزنجي حين قال له : يا أبا عبدالله !! فقد آن لك أن تفتي ، وكان سنه يومئذ دون العشرين .. فبدأ

الشافعي حياة جديدة ، فأخذ يتصدر على كرسي عالٍ داخل الحرم المكي للتدريس ، وحلقته كانت اكبر حلقات الحرم تزاحما وابرزها شهرة •

كان الشافعي عالما بحق فهو اضافة الى تبحره في علوم الدين واللغة ونبوغه في عالم الفقه والفتوى كان عالما بالطب وبعلم التنجيم وبعلم الفراسة ••

وتزوج الشافعي من « حميدة » بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فولدت له أبا عثمان محمداً — وكان قاضياً لمدينة حلب — ثم ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد اربعين ومائتين للهجرة — وولدت له أيضا فاطمة وزينب •

الشافعي في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم :

سمع الشافعي بعالم المدينة وامام دار الهجرة مالك بن أنس وعرف عنه الكثير فلابد وأن يتزود من العلم من تلك المدرسة التي أرسى قواعدها هذا الامام في مدينة الرسول ، ويأخذ عن عالمها الاول ومفتيها الاوحد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعلم سنته ليكتمل بذلك تحصيله العلمي على يديه •

يقول الامام الشافعي عن نفسه : « وقد مرَّ بي رجل من الزبيريين من بني عمي ، فقال لي : يا أبا عبدالله !! عزّ عليّ أن لا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه المدينة ، فتكون قد سُدت أهل زمانك •• فقلت : فمن بقي نقصد ؟! فقال لي : تقصد مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ ، فوقع كلامه في قلبي ، وعمدت الى « الموطأ » فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً — أي عن ظهر قلب — قال : ثم دخلت الى والي مكة ، وأخذت كتابه — أي كتاب توصية وتعريف — الى والي المدينة والى مالك بن أنس ، قال : فقدمت المدينة ، فأبلغت الكتاب الى الوالي، فلما أن قرأه قال : يا فتى !! إنَّ مشيي من جوف المدينة الى جوف مكة حافياً راجلاً أهون عليَّ من المشي الى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذلّ حتى أقف على بابه ، فقلت — أصلح الله الأمير — ان رأى الأمير أن يُوجّه اليه ليحضر ، قال : هيهات !! ليت اني اذا ركبت ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا !! قال : فواعدته العصر وركبنا جميعا ، فوالله !! لكان كما قال : لقد أصابنا من تراب العقيق •• وفعلا وصل الشافعي الى دار الامام مالك بصحبة والي المدينة ليسلمه

الكتاب ، فقدمه اليه بعـد أن حيّاه بتحية الاسلام ، فأخـذه منه ثم رمـاه ، وقال : يا سبحان الله !! أو صار علم رسول الله يؤخذ بالوسائل ؟! قال الشافعي : فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلّمه ، فتقدمت اليه وقلت ـ أصلحك الله !! اني رجل مطّلبي وكذا حالي وقصتي ، فلما سمع كلامي نظر اليّ ساعة وكانت لمالك فراسة ، فقال لي : ما اسمك ؟ قلت : محمد !! فقال لي : يا محمد !! اتق الله واجتنب المعاصي ، فانه سيكون لك شأن من الشأن ، ثم قال : نعم وكرامة ، اسمع يا بني !! ان الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية !! وقد بقي الشافعي ملازماً الامام مالك تسع سنوات قرأ عليه الموطأ في أول مقدمه •• وكانت قراءته وحسن آدائه يعجبانه ، ويقول الامام الشافعي : وابتدأت أقرأ والكتاب في يدي ، فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي واعرابي ، فيقول : يا فتى ! زد !! حتى قرأته ـ أي الموطـأ ـ عليه في أيام يسيرة •• وهكذا رأى مالك في هذا التلميذ من الذكاء وقـوة الـذاكرة والنباهة المبكرة ماجعله يكرمه ويصله ويضعه موضع رعايته وعنايته الى أن توفاه الله تعالى في سنة ١٧٩هـ •

وكان الشافعي ـ رحمه الله ـ اثناء مكوثه في دار الهجرة يسافر بـين الحـين والآخر لزيارة أمه البرة التقية في مكة ، ويزور بعض المدن الاخرى للاستطلاع على أهلها وتفقد أهل العلم فيها •

الشافعي في اليمن :

ولما توفي الامام مالك عاد الشافعي الى مكة ليقوم بعمل يدرّ عليه الرزق بجانب العلم ويسد حاجته ويقوم بأود أمه •• وحدث أن قدم والي اليمن الى الحجاز بمهمة، فكلمه بعض وجهاء القريشيين بشأن الشافعي فلم يتردد الوالي في تلبيـة الطلب ، واصطحبه معه الى اليمن ، فولي القضاء على مدينة « نجران » فذاع صيته وتوافد عليه العلماء والفقهاء والمحدثون ينهلون من منهله العذب ، ويستأنسون بسديد رأيه ، ويستمتعون بعذوبة ألفاظه وبليغ كلامه وفصاحة لسانه ، فنشر لواء العدل ، وأخذ يحكم بما أنزل الله ، وكان شديداً في الحق ، صلباً في دين الله ، لا يخاف في الله لومة لائم ، وأصبحت له الكلمة في كل شيء •• وكما هو حال الناس وفي كل عصر ، لم يرق لذوي النفوس الضعيفة والذين في قلوبهم مرض ممن اعتادوا التزلف الى

ذوي الجاه والسلطان أن يمر كل شيء بصورته الطبيعية ، وأن يبقى الماء صافياً عذباً رقراقاً من غير أن تكدره تلك النفوس القلقة المضطربة.. يقول الشافعي : « ثم خرجت الى اليمن فارتفع لي بها شأن ، وكان بها والى من قبل الرشيد ، وكان ظلوماً غشوماً أكل قلبه الحسد ، وربما كنت آخذ على يديه وأمنعه من الظلم والتعسف » .. فلم يرق لهذا الوالي ذلك ، ولم تطب نفسه ، فأخذ يدبر المكائد ويدس الدسائس وقد كتب الى الخليفة هارون الرشيد في بغداد يستعديه عليه ويتهمه بالخروج على سلطان الدولة مع تسعة من العلويين في تلك البلاد .. قال الشافعي : « فكتب الوالي : واني أخاف أن يخرجوا على سلطان أمير المؤمنين ، وان ههنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي ، يعمل بلسانه ما لا يقدر المقاتل عليه بسيفه وسنانه !! وان أردت يا أمير المؤمنين أن تبقي الحجاز عليك فاحملهم اليك !! » .

الشافعي في بغداد :

أقام الشافعي في بغداد يختلف الى علمائها ، ويتلقى العلم عنهم ، وقد تم له الاتصال بالامام محمد بن الحسن الشيباني ، وأخذ عنه كتب أصحابه الحنفية حتى قال : « خرجت من بغداد وقد حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير » . ويصنّف التصانيف الكثيرة والمهمة والتي منها كتابه القديم « الحجة » ويرويه عنه أربعة من أصحابه العراقيين وهم : احمد بن حنبل وابو ثور الكلبي والزعفراني والكرابيسي . وفي هذه الفترة وضع مذهبه القديم .

كان الشافعي موضع احترام واجلال في بغداد من امرائها وعلمائها مدة اقامته فيها ، ومن جميل ما يروى : ان الامام احمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ مرض فعاده الشافعي في منزله ، فلما رآه ابن حنبل نسي مرضه ونزل من على سرير المرض وأجلس الشافعي مكانه ، وجلس هو على الأرض ، وعند الانصراف اركبه ابن حنبل دابته ومشى تحت ركابه رغم رجاء الشافعي له بأن لا يفعل ذلك ويعود الى فراشه ، ولم يزل حتى أوصله الى بيته ، هكذا يُكرّم العلم عند أهله !! . وظل الامام أحمد يلازمه ويدرس عليه حتى قال عنه : « كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي ، واننا ما عرفنا العموم من الخصوص وناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه حتى جالسنا الشافعي !! » .

ان اقامة الامام الشافعي في العراق وملازمته أئمة الفقه فيه أتاحت له التعرف على فقه العراق وتشعب الآراء فيه وتباين وجهات النظر ، كما أطلع على ما يفتى به في العراق وما يفتى به في الحجاز •• وبعد ذلك رأى الشافعي ان يعود الى مكة ، وبعد عودته استقبله أهلها استقبالاً عظيماً ورجوه المكوث عندهم ، وفي هذه الفترة اتجه الشافعي الى وضع مناهج للاستنباط وطرق الاستدلال ، وأصول الاستنتاج من الكتاب والسنة ، وقد أخذ في وضع تلك المناهج لتكون المقياس الذي يستدل بـه •• فأصبحت لديه مناهج ثابتة وقواعد مكينة مستمدة بايمان وثقة من الكتاب والسنة النبوية، ومهيأة للبحث والدرس ، فدونها وحملها معه وتوجّه ثانية الى بغداد ليضعها أمام أعين الناس وبصائرهم ، ليمحصوها ما شاء لهم التمحيص •• وما أن علم علماء العـراق وفقهاؤه ومحدثوه حتى انهالوا عليه ليتفهموا آراءه ويدوّنوا أقواله ، ثم أخذ يملي عليهم « الرسالة » التي وضع فيها المناهج وأصول الاستنباط ، ثم دونوا كتاب « الأم » الذي اشتمل على الفروع ، وقد دون جميع ذلك عنه تلميذه الزعفراني •

لقد مكث هذه المرة في العراق سنتين (١٩٨ و ١٩٩هـ) اطمأن فيها على اعلان آرائه ونشر مذهبه بين فقهاء العراق ومحدثيه ، ثم قفل بعدها الى مكة حاجاً ، وعاد الى العراق ولم يمكث فيه الا اشهراً حيث قرّر الهجرة الى بلد يستقر فيه ، فاختار مصر •• أراد الرشيد أن يكرمه ويضعه في المكان الذي يستحقه فعرض عليه ولاية قضاء اليمن ، فاعتذر الشافعي ، وقال : يا أمير المؤمنين !! اني لا أرغب في القضاء ، وانما أريد أو أتوجه الى مصر ، فقال الرشيد : لك ذلك !!

يقول تلميذه الزعفراني وقد استوضح شيخه سبب الرغبة في الخروج الى مصر، أنشد لنفسه :

أُخيّ أرى نفسي تتوقُ الى مصـرِ ومن دونهـا أرض المَهامِهِ والقفرِ
فوالله !! مـا أدري أللفـوزِ والغنى أُسـاقُ اليهـا أم أُسـاق الى قبـري

الشافعي في مصر :

قـال يافـوت في « معجم الأدبـاء » : قـدم الشافعي الى مصر سـنة ١٩٩ هجرية في خـلافة المـأمون ، وكان سـبب قـدومه الى مصر ، ان العبـاس بـن موسـى بـن عبدالله بن العباس استصحبه ، وكان العباس خليفـة لأبيـه على مصر ، قال الربيع :

سألني الشافعي عن أهل مصر ، فقلت : هم فرقتان : فرقة مالت الى قول مالك وناضلت عليه ، وفرقة مالت الى قول أبي حنيفة وناضلت عليه ، فقال : أرجو أن أقـدم مصر ان شاء الله فآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعا ، قال الربيع : ففعل ذلك والله حين دخل مصر •

عزم الشافعي الرحيل الى أرض الكنانة وشاء الله ان يلي ولاية مصر العباس بن موسى ، فرأى الشافعي أن يوافقه السفر من بغداد الى مصر فودعه جميع من ببغداد ، ورافق الشافعي في رحلته هذه كثير من تلامذته العلماء وفي مقدمتهـم : الربيـع بن سليمان ، وعبدالله الحميدي ، وفي ٢٨ شوال من سنة ١٩٨ للهجرة وصل ركب الشافعي الى مصر بصحبة الأمير العباس بن موسى الذي أراد أن يضيفه فاعتذر له ، ونزل عند أقاربه في الفسطاط ، وفي الصباح دخل على الشافعي علماؤها وأعيانها يتقدمهم محمد بن عبدالحكم ، وكان من أملى عليهم الشافعي « الموطأ » في المدينة ، فسلم عليه ووضع بين يديه أربعة آلاف دينار •• ابتدأ الشافعي حياته العلمية في مصر بالقاء الدروس بجامع سيدنا عمرو بن العاص ، فكان يشتغل بالتدريس فيـه من الفجـر الى صلاة الظهر ، وكانت العلماء تتلقى عنه العلم في الجامع المذكور وعلى باب داره الا محمد بن بن عبدالحكم فانه كان يصعد الى أعلى الدار ويتغدى عند الشافعي فتلقى عن الشافعي علماء كثيرون منهم : الربيع الجيزي الذي سميت منطقة الجيزة باسمه ، والبويطي ، واسماعيل المزني •• وكانت حلقة الشافعي من أوسع الحلقات في مصر ، فهي جامعـة العلماء والمتأدبين على اختلاف اختصاصاتهم ومشاربهم ، يصف ذلك محمد بن عبدالحكم فيقول : « ما رأيت مثل الشافعي ، كان أصحاب الحديث يجيئون اليه ويعرضون عليـه غوامض علم الحديث ، وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها من قبل ، فيقومون من مجلسه وهم متعجبون منه ، واصحاب الفقه الموافقون والمخالفون لا يقومون الا وهم مذعنون مستسلمون له ، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه •• وكان يحفظ عشرة آلاف بيت لهذيل اعرابها ومعانيها ، وكان من أعرف الناس بالتواريخ وبالأنساب ، وكان ملاك أمره اخلاص العمل لله تعالى ! » •

وضع الشافعي في مصر كتباً كثيرة ، وبها دون مذهبه الجديد ، كما وضع في مصر علم « أصول الفقه » فهو الرائد الاول لهذا العلم الجليل •• وكان ينفق في مصر من

المرتب المخصص له من جهة المحسنة السيدة نفيسة ـ رحمها الله ـ فكانت دوماً تصله بالمال وتنفق الكثير على طلبة العلم •

كانت مدة مكوث الشافعي بمصر خمس سنوات وتسعة أشهر من (٢٨ شوال سنة ١٩٨ الى ٢٩ رجب سنة ٢٠٤هـ) •

طريقته ومنهجه واصوله :

بعد ان ملأ الشافعي الدنيا علماً واجتهاداً ، وبعد أن جمع حوله أفذاذ الطلبة من العلماء في مصر والعراق ، وبعد أن ملأ القلوب بحبه واجلاله والاعتراف بامامته لما كان يتمتع به ـ رحمه الله ـ من علم غزير ومنطق فحل وذكاء عجيب وذهن نافذ وحافظة مذهلة واحاطة واسعة بكتاب الله وسنة رسوله وعلوم اللغة وآدابها •

فهو عدا مكانته الفقهية عند أهل الرأي ، كانت له مكانته عند أهل الحديث ، فهو الذي وضع قواعد الرواية لهم ، ودافع عن السنة دفاعاً مجيداً ، وأعلن رأيه الذي يخالف فيه مالكا وابا حنيفة ، وهو عنده أن الحديث متى صح بالسند المتصل الى النبي صلى الله عليه وسلم يجب العمل به من غير تقييده بموافقة أهل المدينة كما اشترط مالك ، أو بالشروط المتعددة التي اشترطها ابو حنيفة وكان يقول : « اذا صح الحديث فهو مذهبي » • وبذلك كان بجانب أهل الحديث مما جعلهم يطلقون عليه لقب « ناصر السُنة » وفي الحق ان رسالته وبحوثه في « الأم » من أثمن ما ألفه العلماء دفاعاً عن حُجية السنة ومكانتها في التشريع باسلوب قوي جزل ، وأدلة دامغة قاهرة ، ولا ينكر ان كل من كتب في مصطلح الحديث وفي مباحث السنة والكتاب من علماء الاصول ، أنه مدين للشافعي فيما كتب ، ومن هنا كان مصداقاً لما قاله محمد بن الحسن: « ان تكلم أصحاب الحديث يوما فبلسان الشافعي » • وما قاله الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقوداً فأيقظهم الشافعي » • ومن هنا أجله علماء الحديث وذكروه بكل خير ، ومن ذلك قال الامام احمد بن حنبل : « ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالسنا الشافعي ، وما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي ، وقال ابنه : يا أبتِ أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟! فقال : يابني !! كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للناس ! فانظر يا بني ، وهل لهذين من خلف ، وعنهما من عوض ؟! » • وقال الكرابيسي : « ما كنا ندري

ما الكتاب والسنة حتى سمعناه من الشافعي ، وما رأيت مثل الشافعي ، ولا رأى الشافعي مثل نفسه ، وما رأيت أعرف منه وأفصح ! » .

أما أصول مذهبه كأصول الأئمة الآخرين : العمل بالكتاب والسنّة والقياس والاجماع ، الا ان عمله بالسنة كان أوسع دائرة من مالك وأبي حنيفة وبالأخص من ناحية الأخذ بخبر الآحاد ، وكان أضيق دائرة من ناحية رفض العمل بالمرسل الا اذا كان مرسل كبار التابعين كسعيد بن المسيب . ومن اصوله « الأستصحاب » وقد أخذ به الحنفية في الدفع لا في الاثبات .

ومن أجل هذا وذاك كله نرى العالم الاسلامي يتقبل مذهبه بقبول حسن ، وينتشر في الاقطار الاسلامية على أيدي رجاله فيتمذهب به الكثير في كل من مصر والشام والحجاز والعراق وفارس ونيسابور وخراسان وسائر بلاد ما وراء النهر ، وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار .. وقد استفاضت شهرة الشافعي ومذهبه في البلاد الاسلامية عامة ، وكذلك لدى الغربيين حتى تجرد لدراسته كثير من المستشرقين .

وفاته وبعض احواله :

حدث اسماعيل بن يحيى المزني ، قال : « دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه ، فقلت : كيف أصبحت ؟! قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللاخوان مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله جلّ ذكره وارداً ، ألا والله ما أدري روحي تصير الى الجنة فأهنيها أم الى النار فأعزّيها ثم بكى وأنشد يقول :

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوكَ سُلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنتُهُ ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجودُ وتعفو مِنّةً وتكرّما
ألست الذي غذيتني وهديتني ... ولا زلتَ منّاناً عليَّ ومنعما
عسى من له الاحسانُ يغفرُ زلتي ... ويسترُ أوزاري وما قد تقدما

وقال سليمان بن الربيع : « توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة آخر يوم من رجب ، ودفناه يوم الجمعة بعد العصر ، فلما انصرفنا رأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين .

بعد عمر ليس بالطويل انسلخ من عمر الزمن اربعة وخمسون عاماً قضاه هـذا الامام الجليل يتقلب بين العبادة والعلم فأعطى الكثير ولو مدّ الله في عمره لكان عطاؤه اكثر وخيره أعم وأجزل ، فاضت روحه الطاهرة في ذلك اليوم المشـهود وهو يـوم الجمعة (٣٠ رجب سنة ٢٠٤ هجرية) فعم الحزن والظلام أرض الكنانة وخرجت جموع المسلمين لتشيع امامها الى مثواه الاخير غربي الخندق في مقابـر قـريش .. فخرجت الجنازة من بيت الشافعي مخترقة الشوارع والأسواق الى أن وصلت الى درب السباع وهو شارع السيدة نفيسة اليوم ، فأمرت السيدة نفيسة بادخال النعش الى بيتها ، ونزلت هي الى صحن دارها وصلّت عليه صلاة الجنازة ، ثم خرجت الجنازة الى أن وصلت الى تربة أولاد عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف الزهري والتي عرفت بتربة أولاد ابن عبدالحـكم وفيهـا دفن الامام الشـافعي وعرفت بعـد دفنـه بتربـة « الأمام الشافعي » .

وفي سنة ٤٧٤ هجرية بنى نظام الملك المدرسة النظامية في بغـداد ، واراد أن ينقل اليها رفات الشافعي لدفنه في تلك المدرسة ليرقد الى جنب الامامين الجليلين ابي حنيفة واحمد بن حنبل في بغداد العلم .. بغداد العلماء ، وجامعة المذاهب الاسلامية ، ومنشأ كل الحركات الفكرية في الاسلام ، فكان الشافعي في يوم ما ابن بغداد وعالمها الذي يستفتى ويؤخذ عنه علوم الدين واللغة والأدب .. وكانت بغداد موطن مذهبه القديم ، فأرسل هذا الوزير بهدية كبيرة الى بدر الجمالي أمير الجيوش في مصر ، وطلب منه نقل الرفات الشريف ، فلما علم أهل مصر بذلك هاجوا وماجوا واحتجوا وحدثت بعض الاضطرابات نتيجة ذلك ، واستخدمت القوة .. وفعلاً بوشر بحفر القبر وكادت أن تتم العملية لو لا ما أشيع عن بعض الكرامات اثناء عملية الحفر حالت دون نقله الى بغداد .

وحدث الربيع بن سليمان قال : « كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته بيسير ، فوقف علينا أعرابي ، فسلم ، ثم قال : أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟! فقلنا توفي ـ رحمه الله تعالى ـ فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : رحمه الله تعالى وغفر له !! فلقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة ، ويسدّ في وجه خصمه واضح المحجة ، ويغسل من العار وجوهاً مسودة ، ويوسع بالرأي أبواباً منسدة .. ثم انصرف » .



قال الله عز وجل في سورة الدخان (فارتقب يـوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب اليم) ..

اختلف المفسرون في هذه الآية الكريمة والآيات التي بعدها فمنهم من قال ان هذا الدخان يكون يوم القيامة ومنهم من ذكر حادثة معينة اصابت قريشا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فكشف الله عنهم العذاب ثم عادوا الى ظلمهم وشركهم فانتقم الله منهم بالبطشة الكبرى يوم بدر ... وجاء ابن كثير بالمفصل وكذلك فعل صاحب ظـلال القرآن ، ومهما كانت اسباب النزول للآيات فان الله عز وجل قصّ علينا اخبار الاقوام السابقة للعبرة كما جاء ذلك في آخر آية من سورة يوسف وهو قوله عز وجل (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب .. الآية) ..

فهل قرأنا القرآن فاعتبرنا بما جاء فيه من قصص ، من هلاك المكذبين لله ، فان لم نكن قد قرأنا ، فقد رأينا هذا الدخان من السماء قبل أيام ،.. هذا الدخان الاسود هو زوبعة الغبار الاسود والتي فاجأت الناس فما روى الخبر احدهم الا واجمع مـع كل راوية انه كان واقفاً أو سائراً في الطريق او قائماً بعمل في الحديقة واذا بهاتف او منبه كأنه يقول له التفت يُمنةً او يسرة فالتفت فاذا بغمامة سوداء مقبلة عليه وكأنها تريده فيسرع للهرب منها فاذا هي قد احاطت به من كل جانب .

نعم هكذا فجأة ، وهكذا بغتة قد يموت الشخص بسكتة قلبية وما اكثرها اليوم .. وما اكثر الفواجع والمصائب .. فهل يأتي ذلك عفواً ..

ان هذه المصائب على قساوتها رحمة ، انها قد تغير من حال الى حال .. لعلّ من يتعظ ، هذه الغمامة السوداء وامثالها انذار للناس ليعودوا الى الايمان بالله ، ليرجعوا الى القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم انها رحمة لمن يتوب ويفر بنفسه الى الله ويسأل رحمته فان كان قد خسر نصيبه من الدنيا بفاجعة مؤلمة فلا يعاند وينسى الله ويبقى في مكانه بعيداً عن هدي الله فيخسر الآخرة .

كان العرب بالرغم من شركهم وعبادتهم الاصنام يهرعون الى الله عندما تصيبهم قارعة او جائحة او اي مصيبة ..

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الانعام (قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله أو اتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين * بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون *) .

نعم هكذا كان العرب المشركون يلجأون في الشدة الى الله عز وجل منيبين تاركين اصنامهم ، نابذين قبور اوليائهم فلا يستغيثون الا بالله ولا يلجأون الا اليه ..

قال الله عز وجل بعد هذه الآية من سورة الدخان على لسان المشركين الذين آبوا الى الله ، قال (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) وقد دعا سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فاستجاب الله عز وجل فكشف عنهم العذاب قال تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون *) .

لقد كشف الله عذابه هذا الغبار الاسود وما كان عذاباً بل هو الانذار للبطشة الكبرى ، وهذه سنة الله عز وجل في خلقه ..

ايها المسلمون ، اعلموا ان هذا الغبار انذار لكم مقدمة عذاب شديد ان لم ترجعوا الى الله ، الى دينه ، الى قرآنه وسنة نبيه) ..

ليزن كل منكم عمله بميزان هذين السندين وليصحح خطأه وليتب الى الله ، ولا زال امامكم متسع من الوقت ..

قال تعالى ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين .

الطريق طويل

فلرب عاص سادر   الخطوات في ليل الذنوب
ما ملّ من طول الطريق ولا تلمس أن يؤوب
تدري وتعلم ما يريد   وأنت علام الغيوب
الهمته الدرب القويم   وما كدربك في الدروب
وسترته في العالمين   وانت ستار العيوب
آيات فضلك لا تعد
وبساط عفوك لا يحد

سامعون مطيعون

للحاج وليد الاعظمي

قال عبدالله بن جحش رضي الله عنه ـ وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين صلى العشاء .

فقال لي : واف مع الصبح معك سلاحك ، ابعثك وجهاً .

فوافيته الصبح وعليّ سيفي وموسي وجعبتي ومعي درقتي . فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح بالناس ثم انصرف . فوجدني واقفاً عند بابه ، ووجدت نفراً من المهاجرين ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب ، فدخل عليه ، فأمره فكتب كتاباً ، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من اديم خولاني .

وقال : قد استعملتك على هؤلاء النفر ، حتى اذا سرت ليلتين ، فانشر كتابي ، ثم امض لما فيه .

فقلت : أي ناحية يا رسول الله ؟

قال : اسلك النجدية .

* * *

فمضى عبدالله بن جحش ومعه ثمانية نفر من المهاجرين ، حتى اذا سار ليلتين فتح كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه :

« اذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل بطن نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصّد بها قريشاً وتعلّم لنا من اخبارهم ، ولا تكرهن احداً من اصحابك على المسير معك » .

فلما قرأ عبدالله الكتاب قال : سمعاً وطاعة .

ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي الى نخلة • ارصد بها قريشاً ، حتى آتيه بخبر منهم ، وقد نهاني ان أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب بها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع • فأما انا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فقالوا جميعاً : نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر على بركة الله • فسار بهم حتى جاء بطن نخلة ، ما تخلف منهم أحد رضي الله عنهم •

* * *

ولما كان يوم احد ، تقدم عبدالله بن جحش وسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال : يا رسول الله • ان هؤلاء قد نزلوا حيث ترى ، وقد سألت الله تعالى « فقلت : اللهم إني اقسم عليك ، ان نلقى العدو غداً فيقتلونني ويبقرونني ويمثّلون بي • فألقاك مقتولاً قد صنع هذا بي • فتقول : فيم صنع هذا بك ؟ •

فأقول : فيك » •

وانا اسألك أخرى يا رسول الله : ان تَلِيَ تركتي من بعدي •

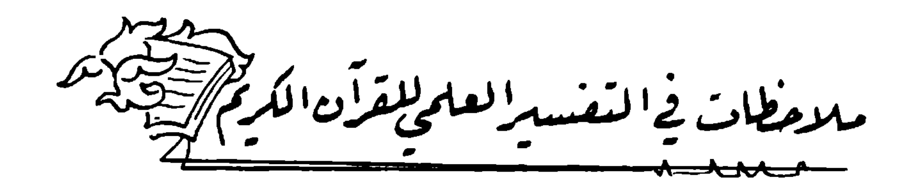
فقال عليه الصلاة والسلام : نعم •

فخرج عبدالله بن جحش حتى قُتِل ومُثّل به ، ودفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حمزة سيد الشهداء في قبر واحد ، وحمزة خاله وهو ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم •

* * *

المصادر

سيرة ابن هشام ٢/٢٥٢ ـ ٢٥٣ وطبقات ابن سعد ج٢ ق١/٥ وج٣/٦٣ وتاريخ الطبري ٣/١٢٧٨ وحلية الاولياء ١/١٠٩ والاستيعاب ٣/٨٧٨ ـ ٨٧٩ وصفة الصفوة ١/١٥٠ ـ ١٥١ والكامل ٢/١١٣ واسد الغابة ٣/١٣١ وسيرة ابن كثير ٢/٣٦٦ـ٣٦٧ وامتاع الاسماع ١/٥٥ ـ ٥٦ و١٥٥ والاصابة ٤/٤٦ وبهجة المحافل ١/١٧٩ •



الدكتور خليل ابراهيم العاني

القرآن دستور الاسلام ، وكتاب الله المعجز ، الكتاب الذي تحدى الله به الانس والجن على ان يأتوا بمثله . « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(١) .

الكتاب العجيب الذي ما ان سمعته الجن حتى قالت « إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احداً »(٢) .

الكتاب الخالد الى يوم القيامة . « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »(٣) .

هذا الكتاب الذي فيه ذكرنا . « لقد انزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون »(٤) . لم ينزّل ليكون كتاباً في الطب او الفلك او الهندسة او غيرها من العلوم ، ولكنه انزل كتاب هداية ونور ، ليخرج الله به الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم به الى سبل السلام ، والى الطريق المستقيم .

« آلر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد »(٥) .

« .. قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل

---

(١) الاسراء/٨٨ .
(٢) الجن/١ـ٢ .
(٣) فصلت/٤٢ .
(٤) الانبياء/١٠ .
(٥) ابراهيم/١ .

السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »[٦] .

« يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً »[٧] .

إن القرآن نزل خاتمة الكتب السماوية ، مصدقا لما قبله مهيمنا عليه ، ونزل على خاتم الانبياء ليكون خاتم الشرائع . « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق »[٨] .

والامة المؤمنة بالقرآن العاملة به « اي امه » تكون شاهده على الناس ويكون الرسول شاهداً عليها «وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .. »[٩] .

القرآن كتاب هداية ..

القرآن كتاب هداية ومجاله هو النفس الانسانية والحياة الانسانية « وان وظيفته ان ينشيء تصوراً عاماً للوجود وارتباطه بخالقه ولوضع الانسان في هذا الوجود وارتباطه بربه ، وان يقيم على اساس هذا التصور نظاماً للحياة يسمح للانسان ان يستخدم كل طاقاته ومن بينها طاقته العقلية »[١٠] .

فاذا ما تحدث القرآن عن آيات الله في الآفاق وفي الانفس . فذلك لا يجعله كتاباً حاويا لجميع العلوم كما ادعى البعض من الحريصين على الاسلام . واذا ما ورد في القرآن بعض التلميحات او التصريحات العلمية فذلك لا يجعله كتاباً في علم الفلك او الطب او غيرها ، كما يحاول بعض المتحمسين ان يجدوا فيه هذه العلوم ، او كما يحاول بعض الحاقدين ان يلتمسوا فيه مخالفته لهذه العلوم .

بعض الاسس في المنهج الصحيح في التفسير العلمي :ـ

ان من هذه الاسس بالاضافة الى عدم التأويل والتكلف المخل للايات الكريمة ، هو « عدم تعليق الحقائق القرآنية النهائية المطلقة القاطعة بفروض من العقل البشري

---

(٦) المائدة /٨ـ٩ .
(٧) النساء/١٧٤ .
(٨) المائدة الآية ـ ٥٢ ـ .
(٩) البقرة الآية ـ ١٤٣ ـ .
(١٠) في ظلال القرآن م١ ، ص٢٥٩ .

ونظرياته »[11] .

وكل محاولة من هذا القبيل تنطوي على معانٍ ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الـكريم :ـ

الاول : هي الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس ان العلم هو المهيمن والقرآن تابع له ، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم او الاستدلال له من العلم ، على حين ان القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه ، والعلم لا يزال في موضوعه ينقض اليوم ما اثبته بالامس ..

الثاني : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته ، وهي انه حقيقة نهائيـة مطلقـة تعالج بنـاء الانسان .. حتى لا يصطدم الانسان بالكون من حوله ، بل يصادفـه ويعرف بعض اسراره ، ويستخدم نواميسه في خلافته .. وفق ما يهديه اليـه عقلـه الموهوب له ليعمل لا ليستلم المعلومات المادية جاهزة !

الثالث : هي التأويل المستمر مع التحمل والتكلف لنصوص القرآن الكريم كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر وكلّ يوم يجد فيها جـديد »[12] .

امثلة من التفسير العلمي الخاطيء لبعض الآيات :

إن في القرآن الكريم الكثير من الآيات العلمية التي سبقت العلم باربعة عشر قرناً من الزمان ، ولقد دأب المؤلفون على الكتابة في ذلك كثيراً ، مما زاد المسلمين يقيناً ، ودفع كذلك اناساً من غير المسلمين الى اعتناق الاسلام ، وهو مصداق الآية الكريمة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .

ولكثرة من كتب في ذلك من اهل الاختصاص وغير الاختصاص ، فقـد ابتعـد بعضهم عن التفسير الصحيح ، وكان السبب في الغالب هو التحمس والتكلف والتأويل للآيات الكريمة .

---

(11) المصدر السابق ص٢٦٠ بتصرف .
(12) في ظلال القرآن م١ ، ص٢٦١ بتصرف .

وانا اذ نضرب هذه الامثلة في التفسير العلمي الخاطيء لبعض الآيات الكريمة : فاننا نفعل ذلك لأن بعضها قد ورد في كتب قد اشتهرت وتداولها المسلمون لبعض المؤلفين المعروفين .

فيأتي احد الكتاب المعروفين حاليا ، وخصوصاً في هذا الاتجاه ، وفي كلامه عن الاعجاز العلمي للقرآن ، وفي احد كتبه يأتي بعدة امثلة لآيات تتعلق بالعلم نقتطف منها ما يلي وعلى سبيل المثال :ـ

١ ـ في تفسيره للآية القرآنية « أو لم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب[١٣] » .
ونجد العجب في كلامه حيث يقول :ـ

« .. هذه الغازات الخارجة من باطن الارض ، والغازات الاخرى منها في الغلاف الجوي واقعة تحت فعل الجاذبية الارضية ، ويقول الاستاذ محمد محمود ابراهيم استاذ الجيولوجيا في جامعة القاهرة في كتابه عن اعجاز القرآن في علم طبقات الارض [تأمل !!] .. اذا زادت سرعة انطلاقها « اي الغازات » على فعل الجاذبية فان الجزيئات تخرج بذلك عن نطاق الجاذبية الارضية .. » .
ثم بعد استدلال علمي يقول :ـ

« الامر الذي يدل على هجرة هذه الغازات من جو الارض ، ولما كانت الارض كروية فان اطرافها هي كل ما يحيط بها .. » ثم يتساءل بسؤال تقريري عجيب :ـ « أفليس ذلك ما تقرره الآية الشريفة ؟ ! وصدق الله العظيم « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، وعلى الرغم من وضوح الانحراف في هذا التفسير الا اننا سنورد تفسير ابن كثير لهذه الآية وتفسير الظلال لها للمقارنة » .

يقول ابن كثير [[قال ابن عباس : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم الارض بعد الارض]] . ثم يورد ابن كثير اقوالاً اخرى ثم يقول [والقول الاول هو ظهور الاسلام على الشرك قرية بعد قرية كقوله « ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى » الآية ، وهذا اختيار ابن جرير] أ . هـ .

---

(١٣) سورة الرعد ـ ٤١ ـ .

وفي الظلال :

[وان يد الله القوية البادية الاثار فيما حولهم ، فهي تأتي الامم القوية الغنية ـ حين تبطر وتكفر وتفسق ـ فتنقص من قوتها ، وتنقص من شرائها وتنقص من قدرها ، وتحاصرها في رقعة أرض ضيقة بعد ان كانت ذات سلطان وامتداد ، واذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه ، ولا بد له من النفاذ[١٤]] .

وصاحب الظلال يعلق في « الهامش » على اصحاب التفسير العلمي لهذه الآية قائلاً : « هذا هو المعنى المتعين لهذا النص ، لا يخبط فيه دعاة « التفسير العلمي للقرآن » من دلالة هذه الآية على نقص اطراف الارض عند القطبين وانبعاجها عند خط الاستواء ، الى آخر هذا الهراء ! . ان السياق القرآني يحدد مدلول العبارات فيه ، فليتق الله من يخبطون في هذا المجال دون فقه وبصيره بطبيعة هذا القرآن » .

وقوف حركة الارض :

« قل أرايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون . قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون[١٥] » .

يفسر الآية فيقول :ـ

[« يقول الله الخالق ، انظروا واسمعوا ، اذا وقفت الارض عن دورانها ، فاصبح نصفها المواجه للشمس نهاراً دائماً والبعيد عنها ليلاً دائماً .. من غير الله يهبكم تعاقب الليل والنهار مرة اخرى ، فهل يمكن ذلك ؟ »] .

ثم يجيب عن هذا السؤال بعلم الفلك :ـ

« وقد امكن للعلماء احتساب النقص في سرعة دوران الارض فوجد ان هذا النقص يبلغ حوالي ثانية كل مائة وعشرين الف سنة ... وعليه فبعد ـ ٤٣٢ ـ مليون سنة ينقص دوران الارض بمقدار ساعة وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار

---

(١٤) في ظلال القرآن م٥ ص١٠٢ .
(١٥) القصص/٧١ ـ ٧٢ .

ـ ٢٥ ـ ساعة ، وهكذا يتوالى النقص .. وعلى هذا الاساس لا بد ان تقف الارض يوماً فلما تقف يصبح الوجه المقابل للشمس نهاراً دائما ، والوجه البعيد عنها ليلاً دائماً ، وهذا ما قاله سبحانه في دستور العلم والحكمة » .

وليته يقف عند هذا الحد بل انه يجعل هذه الآية دليلا ما بعده دليل على الاعجاز العلمي للقرآن ، فيقول « أفبعد هذا دليل على اعجاز القرآن العلمي ؟ ! » .

والآية واضحة فهي لفت انظار الناس الى نعمة الليل والنهار وتخويفهم بان الله قادر على جعل الليل سرمداً والنهار كذلك ليتدبروا نعمة الله فيؤمنوا ، والله قادر على ذلك بلمحة بصر ، فهو الخالق ، وهو منشىء الاسباب ، ولكنه فوق الاسباب بكلمة كن فيكون ، ولا يحتاج الله سبحانه لتنفيذ هذا التهديد الى هذه الملايين من السنين حتى يتساوى الليل والنهار ، ومعنى هذا التفسير ايضاً ان القوم الذين انزلت عليهم هذه الآية ونحن كذلك لا ينطبق علينا هذا التهديد لاننا علينا انتظار ـ ٤٣٢ ـ مليون سنة ليصبح دوران الارض حول نفسها ـ ٢٥ ـ ساعة فقط ؟ ! فكم حتى تكون الحالة السرمدية لليل والنهار !! ، ومن هنا يتبين ابتعاد هذا التفسير عن الصواب .

علم الصحة الوقائية والقرآن :

ثم ينتقل الكاتب بعد ذلك الى الكلام في كتابه عن علم الصحة الوقائية في القرآن ، ويقول « والآيات التي وردت في القرآن الكريم في هذا الشأن كثيرة وعديدة ، ولا يستطاع الالمام بكل ما في القرآن من آيات عن الصحة الوقائية في مؤلف واحد ، لذلك فسنعرض امثلة قليلة لما جاء في القرآن .. » ثم يتكلم عن تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ، ويقول عن سبب تحريم لحم الخنزير :ـ

[[ولحم الخنزير الذي اختلف الكثيرون في علة تحريمه يثبت العلم اثباتاً قاطعاً ، ان الخنزير هو العائل الوحيد للدودة الشريطية المسماة بـ [تينيا سو ليوم] ، ثم يأخذ في وصف هذه الدودة ودورة حياتها ولا ياتي بسبب آخر أبداً]] .

وهذا جهل من ناحيتين ، جهل بعلة التحريم في القرآن اولاً ، وجهل بالطب ثانياً . فمن الناحية الطبية فان للابقار دودة مماثلة هي « تينيا ساجيناتا » ، وتكاد تكون لها نفس مميزات دودة الخنزير لا على ان دودة الخنزير اخطر : كما ان للخنزير دودة اخرى لم يذكرها المؤلف وهي تسبب مرض الـ « ترخينيا » الخطر . فاذا كانت

الدودة هي السبب ، فان للابقار دودة أخرى فلماذا لم تحرم اذاً • ثم انه إذا قصرنا سبب التحريم على ذلك وجاء احد الكفار وقال • [نحن لا نأكل لحم الابقار لانها تخدم الشعب ، بل نأكل لحم الخنزير] • فاذا اعترضنا عليه بوجود هذه الدودة فيسارع بالقول باننا نعقم اللحم وتنظفه قبل الاكل وباحدث المعدات ، كما ان الطهو الجيد يقتل هذه الدودة انسكت ! وقد يدفع ذلك بعض ضعاف النفوس الى المطالبة بابطال تحريم لحم الخنزير ، بسبب ازالة علة التحريم وهي هنا هذه الدودة « او اي مرض غيرها يكتشف » • ولكن الحق ان نقول : اننا لا نأكل لحم الخنزير لان الله امرنا بهذا ، والله لا يأمر عباده الا بما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، وقد يكون ذلك مجرد ابتلاء لنا ، ثم نأخذ برد ما اكتشف العلم من مضار لحم الخنزير لحد الان ، ولا نعلق عليه سبب التحريم •

سكرات الموت ؟

وفي كلام للمؤلف عن سكرات الموت ، في تفسيره للآية ـ ١٩ ـ من سورة ق ، « وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد » • فيقول • « اي ان الموت له سكره اي تخدير » • ويقول • « فجعل المولى القدير ، النوم وفاة قصيرة ، وجعل الموت شبيها بالنوم ، وفي كلتا الحالتين لا يتأثر الانسان بها كثيراً ، وهذا ما قرره القرآن » ثم ياتي باقوال اطباء عن الموت ، وابحاث عن دراسة الكلمات الاخيرة لنطق اناس من افاضل الناس في لحظات الموت « ابحاث عن اناس في اوربا طباً » ، وشهادة رجل جرب الموت • بأن نجا من الغرق « اي انه لم يمت فعلاً ؟ ؟ ! » ثم يقول بعد ذلك •

[فهل بعد ذلك دليل على اعجاز القرآن !!] •

ونحن لن نرد على ذلك الا بحالة ، موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو افضل الثقلين ، فقد تألم صلى الله عليه وسلم عند الموت ، وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه الكريم ويقول « سبحان الله إن للموت سكرات » • كما كان يدعو صلى الله عليه وسلم قائلاً : « اللهم هون على محمد سكرات الموت » • وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت وسكراته فقال : « إن اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف نهل تخرج الحسكة من

الصوف الا ومعها صوف » .

وبعد ... فان التكلف والتمحل والتأويل لنصوص القرآن الكريم لحملها وراء الفروض والنظريات والابحاث التي لا تثبت ولا تستقر واضح كل الوضوح في هذه الامثلة .

امثلة لكاتب آخر :

وهناك كاتب آخر له كتاب عن القرآن والطب ، ويتكلم فيه عن الآيات العلمية ايضا . فيقول مثلاً في تفسيره للايات من سورة الطارق :ـ

« والسماء والطارق ، وما ادراك ما الطارق ، النجم الثاقب ، إنْ كل نفسٍ لما عليها حافظ » الآية ١ـ٤ .

الحافظ هو الغلاف الجوى

« . الحافظ هنا هو الغلاف الجوي فهو يكون لنا حاجزاً وقائيا يقينا شر هذه المقذوفات العاصفة (اي الشهب وهو هنا يفسرها بالثاقب اعتماداً على الآية « الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » التي لا يمكن أية مدفعية ان تساويها في سرعتها .. ولو لا الغلاف الهوائي على الارض لكان سكانها من انسان وحيوان (اي كل نفسٍ) مهددين بالفناء على الدوام بتلك المقذوفات من السماء التي تبلغ الملايين يوميا ، أليس هذا حقا ؟ » ، ولو اقتصر الكلام على ذلك لكان لكلامه وجه مقبول ، ولكن المحاورة تجيب [بلى وربي انه لحق بلا مراء ..) .

بلا مراء ؟!! .. ولكن ما يقول الكاتب اذا ما قال له قائل : ان مجمل السورة يخالف ما ذهبت اليه ، فهو يؤكد ان كل الاسرار ستكشف وتبتلى يوم القيامة حيث لا يكون هناك معين ولا ناصر ، ان تفسير الآية [كل نفس عليها حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »(١٦)

« وفي التعبير بصيغته هذه معنى التوكيد الشديد .. ما من نفس الا عليها حافظ يراقبها ويُحْصِ عليها ، ويحفظ عنها ، وهو موكل بها بأمر الله ، ويعين النفس لانها

---

(١٦) تفسير ابن كثير للآية .

(١٧) في ظلال القرآن م٨ ، ص٥٣٤ .

مستودع الاسرار والافكار وهي التي يناط بها العمل والجزاء »[١٧] .

ولسنا هنا في مجال تفسير الآية او تصحيح التفسير ، ولكننا نقول ان للمسلم الحق في ان يتوسع في فهم الآية ، ولكن بدون تأويل او تعطيل ، وبدون تكلف ، وليس لأحد ان يدعي بأن تفسيره هو الحق كل الحق بلا مراء ويحلف على ذلك بالله .

القرآن ونظرية النشوء والارتقاء :

وتظهر الانهزامية والتخبط على اشدهما عندما يتكلم الكاتب عن تفسيره للاية الكريمة « والله خلق كل دابة من ماء . فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على اربع ، يخلق الله ما يشاء ، ان الله على كل شيء قدير » سورة النور ـ ٤٥ ـ .

فبالرغم من وضوح الآية في الدلالة على مشيئة الله المطلقة وقدرته العظيمة على خلق كل شيء ، فان الكاتب يقول « ان الله تبارك وتعالى خلق الحيوانات التي تمشي على الارض كلها من ماء » . وهذا كلام صحيح ، ولكنه ما يلبث ان يضيف لماذا اعتبره صحيحا « وهذا المعنى صحيح من الوجه العلمية ، لانه يتفق مع عملية النشوء والارتقاء من ناحيتين .

أولاهما :ـ ان الكائنات الحية نشأت اول ما نشأت في مياه البحار ،.. وأما الناحية الاخرى فهي اتفاق هذه الآية الكريمة اتفاقا تاما مع نظام تطور الكائنات وتسلسلها في شجرة الحياة ، فأول ما ظهر من الحيوانات البرية الزواحف التي تمشي على بطنها ، ثم تطورت تلك الزواحف فنشأت عنها الطيور التي تمشي على رجلين ، ثم تطورت الطيور الى حيوانات ثدية تسير على اربع » .

ولسنا هنا بصدد مناقشة نظرية دارون ، التي تخلى عنها مؤيدوها الاصليون . والتي فقدت المبررات العلمية لوجودها ، فلقد انبرى لذلك مسلمون مخلصون ، فالفوا الكتب العلمية الجيدة والمفحمة[١٨] ، ولكننا نبين بهذا العرض مدى الانهزامية والتخبط في هذا التفسير ، فالكاتب يقول عملية التطور والارتقاء ، مع ان الذين قالوا بها سمّوها نظرية ، والكاتب هنا قد آمن بها ، فأول الآيات اليها تأويلاً وكفر

---

(١٨) مثل كتاب « نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها » للمرحوم قيس القرطاس. وكتاب « الانسان والداروينية » للاستاذ محمد صالح كريم خان .

بالمُسَلمات الايمانية في ان الله قد خلق آدم اولاً ، وهي بعد كل هذا ما زالت نظرية •

قصة الخلق وراي غريب لكاتب آخر :

حيث أن الحديث هنا عن نظرية دارون وعن قصة الخلق ، فسنورد في هـذا المجال كلاما عجيبا لكاتب آخر ، حيث تعرض لقصة الخلق فأورد الآية : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ، ثم ردَدناه اسفل سافلين » التين ـ ٤ ، ٢٥ •

وعلى طريقة خالف تعرف يقول :ـ

[فقد خلق الله آدم من البدء في احسن تقويم كاملاً لا عيب فيه ، لا يمرض ولا يموت •• ولكنّ الانسان اختار ان يكون حراً مسؤولاً ، وان يخرج على الامر الالهي « باغراء ابليس » فيأكل من الشجرة •• وحق عليه العقاب وكان العقاب هو الطرد والاهباط من تلك الجنة الى الارض ، والنزول الى التيه المادي « ثم رددناه اسفل سافلين » واسفل سافلين (كما يقول) هي هاوية التيه المادي •• الى طين المستنقعات •• هذه المرة الى مجرد جرثومة في طين الارض •• الى نقطة بدء اولى •• من الصفر] •

وبعبارات مسبوكة يحاول ان يثبت في الاذهان هذا التأويل الخطر [« وكان على آدم ان يخرج من هذا التيه المادي في انبثاق متدرج عبر خمسة آلاف مليون سنة كما تقول لنا علوم البيولوجيا وعبر مراحل واطوار بدأت بالخلية الاولى والاميبا ، صعداً الى والاسفنج والرخويات والقشريات •• الخ •• الخ •• في محلة قاسية وعبر صراعات دامية مع بيئات متعددة تكافح فيها الخلية الوليدة بالمخلب والناب »] ويلخص ذلـك « ان ما حدث في انبثاق آدم من الماء والطين على مراحل تطورية في الارض كان ردة وكان انتكاسا وعقابا لخطيئة » •

ويحاول باسلوبه المعروف ان يثبت ذلك في الاذهان فيقول [انها رحلة اشبه بالخروج من الرحم •• من رحم الارض ذاتها] •

ويفسر آيات من القرآن الكريم كما يشتهي ليثبت بها ما يذهب اليه ، فمثلاً :ـ

« وقد خلقكم اطواراً » معناها انه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء هو ذروة لها •

والآية فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » • البقرة ـ ٣٧ ـ

[وأتاب الله آدم على توبته بان هداه في رحلته الدامية واخذ به خارجا من رحم

الارض ومن طين المستنقعات حتى وقف منتصبا على قدميه محاكيا آدم الاول • آدم الصورة والمثال الذي خلقه الله في الملكوت ••] •

ويكاد يتبين لنا ايمان الكاتب بتناسخ الارواح ، من سابق كلامه ومن ايراد بعض الآيات والتعليق عليها مثل :

« واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم •• » ـ الاعراف ـ الآية ١٧٢ـ

« وإذ اخذ الله ميثاق النبيين •• » ـ آل عمران ـ ٨١ ـ •

حيث يقول :

[هي آيات كواشف تشير الى مرحلة روحية عشناها في الملكوت قبل النزول الى الارحام ، والى انه كان لنا ثمة وجود قبل الميلاد ، كما ان لنا وجوداً بعد الموت • شأننا في ذلك شأن آدم الذي بدأ حياته في أحسن تقويم ثم انزل الى اسفل سافلين ••] ، وفي نهاية الكتاب اورد الكاتب خمسة اسئلة ، سؤال منها من احد القراء تتعلق به ، وقال الكاتب [أما الأخ ••• فانه يلقي علينا خمسة اسئلة •• أو خمسة الغاز في الحقيقة] • وكان احد هذه الاسئلة الخمسة هو [خامسا : هل تؤمن بأننا عشنا حياة سابقة على الارض فيما يسميهالهنود بالتناسخ •] • وقد اجاب [وجوابي على هذه الاسئلة : الله أعلم •••] •

وهذا الكلام جد خطير ، فالكاتب قد اهمل عمداً الآية اللاحقة من سورة التين ، « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجرٌ غير ممنون » • وذلك لصعوبة الربط بينها وبين ما ذهب اليه في تفسير الآية التي سبقتها ، وذلك على طريقة « لا تقربوا الصلاة » « وانتم سكارى » • وهو قد اهمل عمداً الاحاديث النبوية الشريفة التي وردت في خلق آدم ونزوله الى الارض •• الى آخره •

والمهم عند الكاتب ان يخرج الى الناس بتفسير مختلف ومخالف ، ولعل الكاتب قد احس بخطورة كلامه وخشي ان يتهم بالكفر ، فختم حديثه قائلاً [ولا يمكننا القطع في هذه المسائل • ويجب ان نقول ان الشجرة ما زالت لغزاً •• وان قصة الخلق ما زالت من امور الغيب ، ولا نستطيع ان نقول فيها اكثر من الاجتهاد والله اعلم بكتابه وهو وحده الذي يعلم تأويل ما فيه] •



شيء عن صحة البيت

يجب أن يكون البيت الملجأ الذي يأوي اليه الانسان فيطمئن في كنفه وترتاح له نفسه فيخفف عن نفسه ما لقي من تعب وعنت في سبيل الحصول على المال •• قال تبارك وتعالى في سورة النحل (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) •• فكيف يكون البيت سكناً ؟ •

البناء ••

يجب على المسلم أن يحصل ما استطاع على خريطة من خبير يشرح له فيه ما يريد ان يكون عليه بيته ليكون هذا البيت المستقر والذي يوفر له راحة بدنه وعقله ونفسيته ••

وربما كان المطبخ من اهم محتويات البيت اذ يجري فيه تحضير الطعام فلابد من بنائه بشكل يؤمن تنظيفه بسهولة والتخلص من ماء الغسيل والفضلات واتخاذ ما يكفي من الاوعية المغلقة (الدواليب) ما يؤمن ابعاد الطعام واوانيه ان تناله الحشرات او الحيوانات الاليفة ان وجدت في البيت ، وكذلك تؤمن احواض غسيل الطعام والاواني ومن الضروري وضع الاسلاك على النوافذ والابواب لمنع تسرب الحشرات كما يوضع حاجزاً من نسيج الحديد فوق فوهة مجرى الماء القذر لمنع دخول الفار والصراصر مثلاً من الخارج • والأفضل ان يكون في المطبخ مروحة لتخلية الهواء • ويجب ان لا يزدحم بالأثاث وان يكون بحجم مناسب مع ما مطلوب منه فترتاح ربة البيت فيه ••

ويبنى البيت بقدر الحاجة ويوضع في الخارطة ما يمكن توسيعه عند الاقتضاء • وان تكون هندسة الدار بشكل يقاوم بعض عاديات الدهر من حر وبرد فيلاحظ في ذلك مدار الشمس وغالب اتجاه الريح والابنية المجاورة به معامل او مطار او غير

ذلك[1] كما يلاحظ سمك الجدران او جعلها جدارين يفصلهما الهواء لتكون عازلاً طبيعياً ضد شدة الحر وشدة البرد وان يكون في البيت من المنافذ والكوّات ما يسمح لتيار الهواء أن يمر من السطح الى الغرف او الى السرداب بشكل يؤمن التدفئة في الشتاء والتبريد في الصيف[2] .

اما المرافق فالأفضل ان تكون بعيدة عن المطبخ حيث هو المكان المخصص لعمل الطعام .. واذا تيسر في البيت مكان لمأوى السيارة فمن الضروري ان تكون ارضه مبلطة بشكل يسهل غسلها بالماء وتنظيفها بين آونة وأُخرى ، واما مخازن جمع المياه القذرة عند عدم تيسر المجاري فلابد ان تكون في مكان خارج غرف البيت ومطبخه ..

نظافة البيت :

من المفضل ان تنظف الغرف التي يسكنها اصحابها بصورة دائمية ، مثل قاعة الجلوس تنظف يوميا وكذلك المطبخ ، واما غرف النوم فلا بأس ان يكون تنظيفها في الاسبوع مرتين ان كانت قد احتمت من الغبار .

وعند التنظيف يجب ان تحاول ربة البيت عدم اثارة الغبار ما استطاعت الى ذلك سبيلاً وان تفتح النوافذ .. ولا يبخل احدنا في استعمال الماء من اجل تنظيف البيت والمرافق كما انه لا يصح له ان يسرف . وربما احتاجت المرافق الى بعض المواد المطهرة او مزيلة الرائحة ..

والواجب ان يتبع الناس تعاليم المسؤولين فيما يخص نظافة بيوتهم ونظافة ما حولها ..

---

(١) لقد وجد بدراسة قرأتها في مجلة طبية قبل سنتين ان الذين يسكنون قريبا من المطار (في لندن) يصابون بالجنون والامراض النفسية ثلاثة اضعاف باقي الناس كما ثبت ان الصمم قد يحدث من الضوضاء ..

(٢) كانت بيوتنا القديمة هكذا وفي بغداد يسمّون هذه الكوة (البادكير) ولقد ذكر احد المؤرخين ان معظم قصور العباسيين كان فيها هذه المنافذ تعمل نهارا مثل المراوح الكهربائية فتبرد البيت ، وقد رأيت قصرا انشأه الامويون في اريحا وفيه انابيب في قاعدة الجدران وهي مستعرضة تتصل بانابيب اخرى طولية قال لي الذي اخذني اليه ان هذه الانابيب هي للتدفئة والتبريد وقد كان الرجل عالما مؤرخا .

التدفئة والتبريد ..

من المفضل كما ذكرت ان يبنى البيت بشكل يؤمن بصورة طبيعية تدفئة البيت وتبريده فان احتاج الناس الى وسائل للتبريد فليستعملوا اقل ما يكفى وعند شدة الحر ولا يبكروا في ذلك ولا يلجأوا الى جعل البيت بارداً جداً (حتى لـو كانت وسـائل التبريد المكيفات الهوائية وليس المبردات او المراوح) فان فعلوا قد يتعرض احدهم الى شدة الحر حين يخرج من داره فيصاب بامراض الجهاز التنفسي كالزكام والتهاب القصبات وغيرهما ..

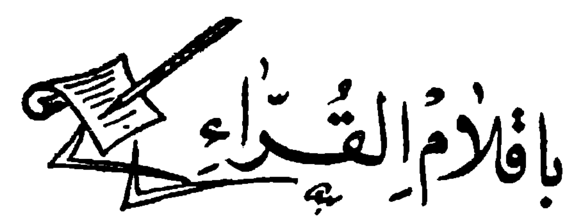
وكذلك يجب ملاحظة التدفئة في الشتاء فلا يفرش البيت كلـــه بالسجاد حتى الممرات ولا تكون كل الغرف وربما الممرات قد امتلأت بانواع مختلفة من المدافىء النفطية والغازية والكهربائية حتى ليكون البيت حاراً جدا فاذا خرج احدهم تعرّض للبرد في الخارج فيصيبه كذلك المرض ..، وكثرة الاثاث والتدخين وكثرة المدافىء تنقص جميعا كمية الاوكسجين في الغرف او ربما افسدته بالزحام والتدخين مما قـد يؤدي الى مرض الناس لاسيما الاطفال ..

الحالة النفسية ..

يجب ان يكون البيت في شكل بنائه وحجمه وعدد غرفه ومرافقه ما يؤمن راحة الشخص النفسية لثقافته وعقيدته وذوقه ..

فالمسلم مثلاً لا يرتاح من بناء لا يؤمن حجاب النساء (لا الرؤيا فحسب بـل الصوت ايضا) .. وكذلك ضوضاء الاطفال ، كما يرتاح المسلم ان يكون في بيته مصلى ليتم له الشروع في صلاته بعيدا عن عبث ولهو الاطفال .. وليكون المصلى تنبيها وتوجيها للطفل يتدرب على المعاملة مع الله وعبادته عز وجل من صغره .

وتجمع النفايات والفضلات في اوعية مغلقة وتوضع في مكان خاص خارج البيت والافضل ان يبنى في الجدار الخارجي او في مكان قريب منه كوة لها فتحتان من الداخل والخارج ولها بابان ..



وردت الى المجلة هذه الكلمة من اعداد الاخت ازهار بعنوان النبع الصافي

انني أنهل من نبع عذب ماؤه ، رائق شرابه ، فمنه استقينا ديننا ، ففي هذا الدين الرحب ، وفي ظلاله ، وفي جنانه الفسيحة وجدنا الحقيقة .

لقد حمل الحقيقة من قبل رسل عديدين فقال تعالى « رسلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً » .

فكان كل نبي من هؤلاء الانبياء يخبر امته بان الله جل جلاله وعظمت صفاته قد ارسله الى الناس وانه يحذرهم من العذاب الاليم ويبشر الناس بالثواب الجزيل وان مرد كل ذلك الى العمل الصالح فقال جل من قائل : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) .

ولكن الناس .. يمرون عليها مروراً فان الله قد منحهم عطاياه ومنها انه جلت قدرته قد منحهم المال والولد والنعم الاخرى وان كانت عطاياه متفرقة بين الناس فعاشوا بهذه الأمور عيشة الجاهلية فظنوا ان بها الخلود وان الله لن يحاسبهم : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منها الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » .

الى ان جاء المصطفى برسالته الخالدة فقال عليه افضل الصلاة والسلام في حديثه الشريف « ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنىُ بيتا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

فكان خاتم الرسل والانبياء وكانت رسالته اكمل الرسالات فقد بين فيها الحياة الحرة الكريمة التي يمكن للمرء ان يحياها في ظل الاسلام الخالد حياة ترضي ربه

وترضي نفسه حياة تعالج الواقع ، وفي جميع العصور وضعت الشخص المؤمن من دون النظر الى لقبه او ماله في المرتبة العليا .

وان معجزة سيد الرسل كتابا ينطق بالحق فقال عز من قائل : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقـون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » .

فما اجدرنا ان نعود الى الله والى الاسلام وروحه كي نحيا الحياة الراضية الطيبة التي توصلنا الى رضا الله ، حياة السعادة في الدنيا وحياة النعيم في الآخرة .

« فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى » .

ومن كلمة بعنوان (وهدوا الى الطيب من القول ...) للاخ احمد عبدالسلام

علينا جميعاً نحن المسلمين أن نهتدي الى الطيب من القول لأنّ الطيب من القول هو الاساس في أمر الاسلام وهو عبارة عن المعبّر الصادق عن ذات الانسان الداخلية اذا ماأعقبها تطبيق صحيح وكامل لهذا القول قال عليه الصلاة والسلام (الكلمة الطيبة صدقة) كيف لا تكون صدقة والاسلام لا ينتج الا طيبا والكفر لا ينتج الا خبثا ولهذا نجد أننا اذا رأينا مُدعياً للاسلام وفيه سمات الخبث فيجب أن يُعرَف أنّه ليس من الاسلام في شيء وأنْ ادعاه فالاسلام ليس دعوةً باللسان فقط وانما هو شـعور في الوجـدان ويقين بالله وتنفيذ لأوامر الله فالاسلام طيب لا ينتج الا طيبا والكفر خبث لا ينتج الا خبثا . عجبا كيف تحـول ذلـك الأعرابي الفظ الغليظ الى ذلك الانسان المهـذب في الكلام الرقيق في المشاعر الطيب في النفس والعمل اذا جاء قال السلام عليكم واذا أكل قال بسم الله واذا شبع قال الحمد لله واذا اراد شيئاً قال باذن الله من أين أتت هذه الكلمات والعبارات الرائعة هل من التراث .. لا أنهـا أتت من دين الله العـليم الذي علمهم ومن الرسول الكريم الذي رباهم فأحسن تربيتهم . والاسلام منهج لـه اخلاقيتـه فقـد تخاصم يوما أبا ذر مع بلال الحبشي فقال أبو ذر لبـلال (يا ابن السـوداء (فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً وقال له طفَ الصاع .. طفَ

الصاع •• انك امرء فيكَ جاهليـة) هكذا مرةً واحدة من أجلِ كلمةٍ قيلت في ساعة غضب (انك امرءِ فيكَ جاهلية) فما بال المسلمين اليوم في قولهم لا يحسبون له حساباً •• الاسلام بعيد عن الجاهلية •• قول المسلم بعيد عن قول الكافر •• ولكن مع الزَلّة هناك تكفير واستغفار لقولة اللسان عندما يكون فيها جاهلية • نعود الى أبي ذر فنراه وقد صدمته هذه العبارة وها هو قد ارتمى على الأرض وقال لبلال بكُلٍّ وضوح (ضَعْ قدمك فوق رأسي) هكذا وبكُل بساطة وأمام الرسول والصحابة جميعهـم (ضَعْ قدمك فوق رأسي) رفض بلال ولكن الطلب كان جازماً لتكفير كلمة الجاهلية الخبيثة •• ضَعْ قدمك فوق رأسي •• ووضع القدم فوق الرأس ويستقر فؤاد ابي ذر وسجلها التاريخ مفخرةً من مفاخر ابي ذر وليس عيباً من عيوبه فهل بلغت بنا قوة الايمان وصدق التقوى حتى نسمح بوضع أقدام مؤمنين فوق رؤوسنا لنكفر عن خبث الجاهلية في أقوالنا ومن أجل كلمةٍ خبيثة لفظناها أننا اذا لم نكن على هذا المستوى فلا خيرَ فينا ونحن بعيدون عن هدي الاسلام وطيبته فالله تعالى يريد منا أن نهتدي الى الطيب من القول فهو طريق الصراط المستقيم الذي تهتدي اليه بعدئذٍ •

ما أجملها من كلمةٍ يقولها مؤمن لأخيه المؤمن [بارك الله فيك وجزاكَ الله كُلَّ خـير] تخرج من صميم القلب الى صميم القلب والاسـلام طيب لا ينتج الا طيبا •

فاحـذر لنفسك •••••

قال الشاعر :

إِن كنت نلت من الحيـاة وطيبهـا | مـع حسـن وجهـك عفة وشباباً
فاحـذر لنفسك ان تُرى متمنيـاً | يـوم القيـامة ان تكون ترابـاً